

شعارنا الوحديد  
إلى الإسلام  
من جديد

٢١١٩  
ج.٦ / ١٧٥٩٨.

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العدد السابع - المجلد  
ربيع الثاني ١٤١٥ - سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٤

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص. ب ٩٣ لكانو الهدى



72336-73864  
MAJALLAH

REGD. NO. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)  
AUGUST & SEPTEMBER - 1994

صدر حديثاً :

فلم سماحة العلامة السيد أبي الحسن على الحسن الندوى

## ذريعة وذريعة

في الأقطار الإسلامية  
وأثره البعيد في اتجاهاتها وقياداتها

هذه مقالة قيمة كان قد نفذها سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسن الندوى - حفظه الله - في المؤتمر التعليمي الإسلامي الأول الذي كانت ندوة العلماء عقده في عام ١٩٧٥ ميلادي في لكانو ، كانت المقالة كورقة عمل للمؤتمر حول العمل التعليمي للسلميين و الفكرة التي تبنتها ندوة العلماء نحو ذلك ، لقد ركز سماحته في مقالته هذه على الخطير الكبير الذي يواجهه العالم الإسلامي منذ أن غلت القوى الاستعمارية الغربية على البلدان الشرقية ، و بدأت تطبق عليها نظاماً تعليمياً على الفكر الغربي و النظرة الغربية إلى الكون و الحياة و الإنسان

قام بالنشر و التوزيع

شبكة التعمير و الترقى - دار العلوم ندوة العلماء لكانو (الهند)

قام بالنشر و التوزيع شاهد حسين (مؤسسة الصحافة و النشر) ندوة العلماء لكانو

بسم الله الرحمن الرحيم



أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله  
في ١٩٥٥ م ١٢٧٥ هـ

العدد السابع

المجلد التاسع والثلاثون

ربيع الثاني ١٤١٥ هـ

سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٤ م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناو - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama  
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

# البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :  
**سعيد الأعظمي الندوبي**  
واضف رشيد الندوبي

إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم ، البعث الإسلامي ، تجتاز الآت عامها التاسع و **الثلاثين** ، وذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فنحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار في خدمة البعث الإسلامي ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة في الظروف القاسية التي تجتازها الأمة الإسلامية و يتعرض لها المسلمون في كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كابراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تصاعدت بخلاف أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل محموداته في سهل دعم المجلة و توسيع نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشارطنا في أداء بعض الواجب الذي تتحمله الآن .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .  
و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .



الاشتراكات السنوية :

★ في الهند : مائة روبيه  
ثمن النسخة عشر روبيات :

★ في العالم العربي وفي جميع دول العالم .

٢٠ دولاراً بالبريد السطحي .  
٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

رسول الاشتراكات بالشيخ :  
(ALBAAS-EL-ISLAMI)  
باسم

بالعنوان التالي :

مكتب البعث الإسلامي ،  
(مؤسسة الصحافة والنشر)  
ندوة العلماء ص . ب ٩٣  
لكانو ( الهند )

ALBAAS - EL - ISLAMI  
C/o NADWAT UL ULAMA  
P.O. Box 1 No. 93,  
Lucknow. ( INDIA )

★ المجلة غير ملتزمة  
بكل فكر ينشر فيها .

## الافتتاحية :

# لنبأ من جديد في بناء المجتمع الأفضل !

لم يكن هناك تصور للمجتمع الإنساني قبل أن يوجه إليه الإسلام . ويركز على تشكيله في ضوء الطبيعة الإنسانية . إنما وجدت مجموعات بشرية وقبائل متحاربة حيناً ومتعاونة حيناً آخر . حسب المصالح القبلية والدواعي النسبية . و وجدت طبقات توزع الإنسان بين أنواع وألوان ، على أساس من اللون والدم والجنس والوطن . وقد قامت حضارتا الروم والفرس بدور مشبوه في هذا المجال فشجّعوا العنصرية والشعبوية في جانب ، وأشارتا الحروب بين أتباع الديانات وطبقات الجماهير في جانب آخر . حيث إن الحياة الإنسانية وقعت فريسة الفوضى والأنانية والصلف والغرور . وعاش العالم البشري صورة هزلية للجد والأصالة . ومثل أحط أدوار التاريخ الإنساني خلفاً وفضيلاً .

يتحدث التاريخ عن المأسى والبكاءات التي زخر بها تاريخ الإنسان في القرنين السادس والسابع الميلادي بوجه خاص . ولا سيما فإن ممثل الديانات يوم ذاك كانوا قد خلعوا لباس الاحتشام والمرءة وتجروا عن جميع الخصائص الدينية والخلقية . وقادوا العالم البشري إلى جحيم من الشهوات والخلافات . مما جعل الحياة الإنسانية تتجرع كأس المرارة والشقاء . وتعاني من العناء والعذاب النفسي ما أوقف الناس على شفا حفرة من النار . كما قد صور ذلك كتاب الله حيث أمرهم بالاعتصام بحبـل الله ونهـامـهـ عنـ التـفـرقـ وـ ذـكـرـهـ بـالـنـعـمـةـ - هي نـعـةـ الـاخـوـةـ التـيـ أـكـرـمـهـ

## في هذا العدد

### افتتاحية :

لنبأ من جديد في بناء المجتمع الأفضل ١

### التوجيه الإسلامي :

القرآن يتحدث عن نفسه

الصحوة الإسلامية . طريق إلى السعادة ..

### الدعاية الإسلامية :

القراطمة .. ومقتداً لهم ١

ملامح النهج الإيماني في التدبر والتفكير

علم القراءة في المصور المتوسط في الهند

### دراسات وأبحاث :

هل يمكن أن تقود العالم من جديد ١٩

الاستشراق والفقه الإسلامي

قضية «المدار» و«المراجع»

### دراسات في السنة :

بين الضعيف والموضع من الأحاديث

### العلم من نافذة الإيمان :

أسرار العمل

### من المذاهب النبوية :

كشف الفتنة في مدح سيد الأمة «للبارودي»

### رسالة فقيناء :

الحدث الكبير العلامة عبيد الله الرحمناني

### صور وأوضاع :

من الاختلاف إلى الاختلاط

تطرف وكبت الحريات باسم التسامح والحرية

### إصدارات محدثة :

مجلة الأدب الإسلامي

مجلة «كاروان أدب» (قافلة الأدب)

سعید الأعظمی

سماحة العلامة

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوی

سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوی

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر

سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوی

الدكتور ظفر الإسلام الإصلاحي

الأستاذ عبد الوهاب عبد العزيز سالم

سعادة الدكتور أ. د. محمد الدسوقي

سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان

فضيلة الشيخ عبيد الله الأسمدي

الدكتور خلوق نور باقي

سعادة الدكتور غريب جمعة

الشيخ عبد الواحد عبد القدوس المدني

واضح رشيد الندوی

- - - - -

قام التحرير

- - - - -

بها - فقال : « واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا ۖ واذكروا نعمة الله عليكم ۖ إذ كنتم أعداء فالفَلَفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ۖ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » وكثير من مؤرخي العالم القديم تحدثوا عن الوضع البشع الذي كان الإنسان عاشه في الجاهلية الأولى .

فكان الإسلام منطلقاً واسعاً نحو بناء حياة سعيدة وبالتالي تكوين مجتمع إنساني عادل يقوم على أساس متينة من الحب والثقة والتعاون والأخوة بمعناها الأوسع ، وقد ركز النبي الكريم - ﷺ - على هذه النقطة الشريفة قبل كل شيء . وأزاد أن يتناول شمل الحياة المترافق فيجمعه على أساس الأخوة الإسلامية . ويحذر الناس من الأدواء الخلقية التي أضحت أجزاءً أكيدة للحياة الاجتماعية ، ولا يمكن تصورها بدونها . وقد فطن أن « الظن » بمفهومه العام أصبح ركيزة الانطلاق نحو جميع النكرات والرذائل ، فوجه إليهم التحذير وطلب منهم أن يرعوا عن هذا الغي الذي أورثهم أمراضًا اجتماعية وأخلاقية تقوم سداً منيعاً ضد الفضائل التي يدعو إليها الإسلام ويعتبرها دعائم الاجتماع الأساسية . وقد اتخذ لذلك أساليب منوعة فتارة بالتحذير الشديد والنهي القاطع : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تبغضوا ولا تدارروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم . المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحرقه ، التقوى هنا ، التقوى هنا ، ويشير إلى صدره ، بحسب أمرئ من الشر أن يحرق أخيه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله ، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » . وتارة أخرى بالمنع الشديد عن اتباع عورات المسلمين : « عن معاوية

**البعث الإسلامي**  
لنبأ من حيث في بناء المجتمع الأفضل

- رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم [رواه أبو داؤد بإسناد صحيح] وثالثة ينهى عن الشماتة بالمسلم ، فعن واثلة بن الأسعف - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - : « لا تظهر الشماتة لأخيك في رحمة الله ويبتليك » وحرّم الطعن في النسب والنياحة على الميت فقال : « اثنان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت » وأشار إلى علامة النفاق فقال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً . ومن كانت فيه خصلة منهان كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أتو من خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » . [متفق عليه] .

ليست هذه التوجيهات النبوية التي استوحها النبي الكريم - ﷺ - من ربها تعالى ، هي وحدها دعائم المجتمع الإسلامي الذي أسسه الإسلام ولكن في معظم أحاديث النبي الكريم - ﷺ - إشارة واضحة إلى ما يتصل ببناء الحياة السعيدة والمجتمع الأفضل ، ذاك أن المجتمع السليم يمهد إلى الحضارة السليمة التي هي حضارة الإنسان على وجه دائم وطريق خالد ، يعيش فيها الإنسان بجميع الخصائص الإيمانية والمطالب المادية والقيم الخلقية والميزات الاجتماعية فيمثل حياة طاهرة زكية تفيض بالخير والسعادة على جميع أعضاء المجتمع الإسلامي وتميز بالنصر لله ولكتابه ولرسوله ولآئمة المسلمين وعامتهم ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن تميم بن أوس الداري ، أن النبي الكريم - ﷺ - قال : الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولآئمة المسلمين وعامتهم ، و عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : بايُعت رسول الله - ﷺ - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم [متفق عليه] .

شيد رسول الله - صرح الحضارة الإسلامية التي لم تعوزها العناصر الطبيعية التي تفرز وسائل الهدم والتخرّب والتمرد والعصيان والعوامل النفسية التي يعرقل سير الحضارة وتعوق مسيرتها عن التقدّم والازدهار . فقامت هذه الحضارة بالاشراف على بناء العالم وتغيير قوى الكون لصالح الحياة والإنسان . وتوطيد أركان الدين على العلاقة الطيبة الخالصة بين الإنسان والإنسان وبين رب العباد . ومن ثم كانت حضارة الإسلام قيمتها الفالية وأهميتها المنشودة بين حضارات العالم القديمة والحديثة ، والفلسفات الإنسانية التي عُرفت في التاريخ العالمي بهيبتها ، التي خضعت لها الناس من كل طبقة .

ولا تزال الحضارات المادية في العالم الحديث اليوم تنشر ظلالها الموبوءة على المجتمعات الإنسانية وتفرض روًيتها القاصرة على العقول ، وتقود الشعوب المادية نحو نهب اللذات والتصرف وجمع الوسائل المادية لتوفير الراحة والعيش الرغيد على حساب الأخلاق والفضائل والرحمة والإيثار . أفلانت المجتمعات المادية اليوم التي صنعتها الحضارات الحديثة قد أفلست في القيم الأخلاقية . والاعتبارات الإنسانية . وسقطت في الهاوية إلى آخر المدى ، حيث إن شمل الأسر والعائلات قد تشتبّط إلى آخر ما يتصور . وتلاشت علاقات القرابة والرحم بين الآباء والأبناء والبنات والأمهات . وكثير عدد الأمهات غير المتزوجات ، والمواليد الغير الشرعيين . وأصبحت الفاحشة فنا يمارسه كل شاب وشابة علينا وجهاراً ونال الشذوذ الجنسي شرعية القانون . وببدأت الدول المادية في بعض البلدان تؤسس مدنًا خاصة بالرجال المتزوجين فيما بينهم ، وبالعكس ، ولم يعد للقيم والأرحام أي حرمة في هذا المجتمع .

وجاء الإعلام الغربي بعده وعتاده وبأجهزته وبرامجه كذراعية سرية

**لنبأ من جحثه في بناء المجتمع الأفضل**  
البعث الإسلامي  
في نشر التفسخ الخلقي ودخل مخادع البيوت والأسر . وغرف النوم للعائلات . وتولى إشاعة الرذائل والمنكرات وإثارة الغرائز والشهوات في الشباب والشابات مما انحلت به عرى الحياة النزيهة . وفقدت به الحرمات عظمتها وعثّت موجة الانطلاق نحو الجرائم الخلقيّة بألوانه المختلفة . وكان لابد من أن تتأثر بهذا الإعلام وإصداراته وبرامجه التي ثبّتت مباشرة على الهواء ، وتدخل بواسطة القمر الصناعي في جميع البلدان وبالتالي في المنازل والبيوت . كان لابد أن تتأثر به مجتمعات المسلمين في كل بلد ، ويجردهم عن الغيرة الدينية ويقلل فيهم الشعور الإيماني والوعي الإسلامي والوازع الديني ، فيتسرب إلى حياتهم الشخصية انحرافات وانعكاسات في المجتمعات المادية النحيلة مما نرى آثاره بارزة في كل مكان .

إن مجتمعاتنا نحن المسلمين قد أصيّبت بالعوامل الحضارية المادية والإعلامية الحديثة التي سبّبت دخول الفساد بأفظع صوره في جميع الأعمال والتصرفات . وأصبح المجتمع مهدداً بالانهيار والذوبان . فإذا أغفلنا هذا الجانب المهم ولم نعالج ذلك السرطان المادي الذي يكاد يتمكّن من جسم الأمة . وتركنا عوامل الهدم والدمار تتحكم في حياتنا وتستهدف أخلاقنا وعقيدتنا . وتشوه تعاليم الإسلام وصورة الحياة الإسلامية . لتداعُت أركان المجتمع وتناثرت أجزاؤه وذهبت أدراج الرياح . لذلك فإن المسؤولية الأولى تتوجه إلى دعاة الأمة وقادتها نحو إنقاذ هذا المجتمع من الأخطار التي تحدّق به ، وإصلاح ما فسد منه . واستبدال القطع الفاسدة منه بقطع صالحة جديدة ، ومعالجة القضايا الاجتماعية كلها في ضوء تعاليم الكتاب والسنة . حتى يتظاهر المجتمع من الأمراض الخلقيّة . والعادات الجاهليّة . والتقاليـد المشبوـهة ، ويتحـدّ أعضاؤه في

أداء المسؤولية ويمثلوا دور خير الأمة على ساحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكونوا قوة مرعبة ضد العناصر الطاغية والقوى الشريرة . ويكونوا كالبنيان المرصوص أمام العوامل الإغرائية المفرقة . والتهديدات المثبتة لهم . ويتتحقق بذلك المثل الصادق الذي بشر به رسولنا العظيم محمد - ﷺ - فقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

المجتمع الإسلامي ليس في واقعه اليوم كما كان بالأمس ، ولكنه أصيب في بنائه بهزات عنيفة بحكم العوامل المتنوعة . منها ضعف الثقة بالدين وتعاليمه ، وعمليات التشكك التي يمارسها أعداء الإسلام . والغزو الحضاري المادي العنيف الذي يجرف كل شيء من الأفكار الثابتة والعقائد الراسخة ، والاهتمامات الدينية ، ويزعزع الإيمان واليقين ويورث الضعف ويشير الشبه . ولقد أفرزت إلينا الحضارات المادية الحديثة أمراضًا فتاكـة - نتيجة لإبداعاتها العلمية والصناعية التي تفقد الجوانب الإيجابية البناءة - تفترس شبابنا وأبنائنا تحت تحطيم دقيق للإفساد وتحويلهم إلى عوامل الهدم والدمار .

ولا شيء أعظم تأثيراً من إدراك مواطن الداء والتفطن لداخل الفساد في أنفسنا . وهناك نستطيع أن نسد كل خلل ، ونصلح كل زيف ، ونبداً من جديد في بناء المجتمع والعودة به إلى عصور الإسلام الأولى .

وما ذلك على الله العزيز . فإنه قال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فینبئكم بما كنتم تعملون » .

# التوجيه الإسلامي

## القرآن يتحدث عن نفسه

الصلة الثانية الأخرى

ساحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي

٤- القرآن مصدر للكتب الإلهية السابقة. ومهيمن عليها:  
ينبغي عند هذه النقطة أن تلاحظ ثلاثة أمور:

١- أن أصول الدين وكلياته الأساسية قدر مشترك بين جميع الكتب  
السماوية والديانات السماوية . وقد صرَّح بذلك القرآن الكريم في عدة  
مواضع .

٢- أن الصحف السماوية السابقة على القرآن المهيمن . كانت مؤقتة بزمن  
محدود ، وبقيت إلى زمن محدود ، فلم تكن فيها صحيفة دائمة البقاء ، ولا  
مستمرة الحفظ والصيانة .

٣- أن القرآن الكريم كتاب الله الأخير . وهو الصحيفة الأبدية ، الشاملة  
لأصول الدين كلها . ولن تزال مصونة محفوظة إلى أن يرث الله الأرض  
ومن عليها .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٩].  
وبعد تسليمنا بهذه الملاحظة الأساسية يتيسر لنا فهم الدعوى  
وإدراكتها : أنه مصدق لهذه الكتب . وأنه ميزان لعرفة صحة  
تعاليمها الأساسية وثبوتها . ومحك لاختبار مدى أصالتها وسلامتها .  
فما وافق منها هذا الكتاب المصدق المهيمن فهو الصحيح المحفوظ . وما  
خالفه منها أصولاً وكليات فهو المحرف المنحول .

البعث الإسلامي  
القرآن يتحدث عن نفسه  
والآيات التي صرَّح فيها بأن القرآن الكريم مصدق للصحف السماوية  
السابقة كثيرة ، وقد ذكرت في الآية التالية صفتاه الميزتان : (المصدق  
والمهيمن) :

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مَصْدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِيمًا  
عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٨].

٥- القرآن يهدي إلى سبل السلام ويخرج الناس من الظلمات إلى  
النور :

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رَضْوَانَهُ  
سُبُّلَ السَّلَامِ وَيَخْرُجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ  
مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة ، الآيات : ١٥-١٦].

﴿إِنَّ رَبَّكَ أَنزَلَنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِنِ  
رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم ، الآيات : ٢١-٢٢].

﴿هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بِيَنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحديد ، الآية : ٩].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
أُولَئِكُمُ الطَّاغُوتُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكُمْ أَصْحَابُ النَّارِ  
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧].

إن القرآن الكريم يفتح للحياة الإنسانية بجميع شعuberها وميادينها ،  
تلك السبيل المستقيمة المستوية الواضحة ، التي تخلو من كل المطبات  
والنقوءات والمزالق والأخطار . ولا تعبَّر عن هذه السبيل أفضل وأجمع من  
سبيل السلام . إنها من تلك الكلمات المصطفاة التي لا تفسر بغيرها من

إن هذه السبل كلها مؤدية إلى ذلك «الصراط» الذي يدعو إليه الرسول .  
وليس هي تلك السبل التي تفرق وتبدد ، ويدعو إليها الشيطان .  
« وأن هذا صراطي مستقيماً . فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم  
عن سبيله » [سورة الأنعام ، الآية : ١٥٤] .

وهنا لابد من لفترة ووقفة قصيرة عند التعبير القرآني المحكم البليغ  
الذي يذكر «النور» دائمًا مفردةً واحدًا ، ويذكر الظلمة «الظلام» جماعاً  
وتكتيّراً . لأنه متى فقد الإنسان نور الوحي - الذي لا يتعدد أصله -  
تعددت عليه الظلامات وتنوعت وتداعت من كل صوب وحدب حتى لا يحصى  
لها عدداً ، ويواجه على كل شعب من شعاب الحياة ، وكل درب من دروبها ،  
ظلاماً فوق ظلام .

ولو وضعنا «نور الدين القيم» في جانب ونحينا عن حياتنا ، فهل  
يبقى في هذه الدنيا الواسعة إلا ظلامات متراكمة ، وحجب من الظلمات كثيفة؟  
وهل يبقى غير التيه والضلال في طريق الوصول إلى الله؟ ، وغير  
الطفوس والتقاليد في الديانات؟ ، وغير الحمق والجهل والخرافة في  
الاعتقادات؟ ، وغير الأوهام والأحلام في التصورات؟ ، وغير القياس  
والرأي والظن والتخمين في العلوم والصناعات؟ ، وغير الجور والعسف في  
الاجتماع والمعاملات؟ ، وغير التجارب والاختبارات في القانون  
والسياسات؟ ، وغير البغي والسطو والطغيان في الدول والحكومات ، هل  
يبقى غير ذلك؟ كلا ، إنها:  
« ظلامات بعضها فوق بعض . إذا أخرج يده لم يكدر يراها » [سورة

إنه ليس في ظلمات هذه الحياة الكثيفة الحالكة منارة نور ، إلا «نور  
الله» الذي أضاء به السماوات والأرض .

« الله نور السماوات والأرض » [سورة النور ، الآية : ٢٥] .

لقد كان تعبير القرآن لأجل ذلك عن النور بالفرد (١) ، وعن الظلمات  
بالجمع ، فمن لم يحظ بهذا النور فلا نور له :

« ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » [سورة النور ، الآية : ٤٠] .

إن الذين يخرجون في ضوء مشاعل الأنبياء ومنارات المرسلين من  
ظلمات هذه الدنيا ومتاهات الضلاله والعمى إلى نور النهار ووضوح الهدى ،  
يحيون حياة جديدة وما حياة الأعمى إلا شقاء وضلال ، إنهم يعودون أصحاب  
بصر ، ويحسون بأنفسهم وقد تفتحت لهم العيون ، وحدث الأ بصار ،  
فتتجلى لهم طرق هذه الحياة ودروبها كما تستنير بهم الآخرة ، ويرون  
سبل السلام ، والصراط المستقيم في وضوح وجلاء ، يمشون في رحلة  
الحياة الطويلة العقدة بخطفهم الثابتة في نور الله ، ولا يقعون في أي  
مزلاق أو مزلقة ما داموا متشبثين بنور الله وهدائه .

ولا أجمل ولا أروع في تصوير الفرق الهائل بين الحالتين : حالة العمى

-----

(١) والنور ليست من الكلمات التي لا تجمع ، فهو يجمع على أنوار ، كما توجد  
هناك ألفاظ أخرى بمعناه . ولا يصح القول بأن جمعه غير بلاغ ، فماذا يبقى بعد  
استعمال القرآن إيهام من شك في بلاغته؟ ولكن القرآن يهدف بإفراد  
النور وجمع الظلمات إلى حقيقة أخرى مهمة . ويلفت إليها الانتباه . لعلهم  
يتفكرون .

وحلّة البصيرة من تعبير القرآن الكريم.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْبَبَنَا هُوَ نُورٌ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ شَلَهُ فِي الظِّلَّاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].  
وقد وعد الله - سبحانه - بهذا النور على اتباع القرآن ، وعلى تقوى

الله والإيمان برسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٨].

وإن كلمة «تمشون به» وكلمة «يمشي به في الناس» لتشيران إشارة واضحة إلى أن هذا النور ليس خاصاً بالآخرة . بل إنما هو نور البصيرة ، والفرقان المبين للذين يمشي بهما الناس في حياتهم الدنيوية وجميع شئونهم فيها ، إنهم يقومون بجميع أعمالهم وشئونهم في ضوء الوحي الإلهي والهداية النبوية . والفرقان المنزّل عليهم من عند الله . وأن سيرتهم في الحياة تتميز تميّزاً واضحّاً عن سير جميع الشعوب الكافرة ، ومناهجهم في الحياة ، وليس لهم هذه الميزة النيرة إلا لقيام منهم بمبدئياً على الوحي والرسالة لا على الآراء والظنون ، وقد أشير إلى هذه الصلاحية المميزة الحاسمة في آية أخرى .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فَرَقَانًا﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٩].

لأجل ذلك وصف الله سبحانه وتعالى هذا القرآن بـ «النور» و «البصائر» و «الهدي» و «البينة» و «الموعظة» و «الشفاء» و «الذكر المبارك» إلخ .

**البعث الإسلامي**  
القرآن يتحدث عن نفسه  
٦- القرآن الكريم هو تلك المرأة الوضيئه ، التي يرى فيها الناس ذوق العقائد المختلفة والتصورات المتنوعة وأصحاب الأخلاق والأعمال التبانية ، وجوههم وملامحهم ، وسماتهم ، فإنهم ذكروا فيها بما تصرّحوا أو إيماءً ، أو تلويحاً بقصص الماضين وسيرهم الغابرة ، أو مباشرة وقصدأً لأعيانهم .

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (١) ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠].

لقد ذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي البغدادي (٢٩٤-٢٠٢هـ) - وهو الحدث الجليل المعروف . ومن تلامذة الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني (م ٢٤١هـ) - في كتابه : « قيام الليل » (٢) . قصة مثيرة مؤثرة تدل على فهم السلف للقرآن الكريم وتدبرهم فيه . وتعين على تفسير هذه الآية وإدراك بعض معانيها .

عن الأحنف بن قيس أنه كان جالساً يوماً فعرضت له هذه الآية :  
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠] . فانتبه فقال على بالصحف لأنتم ذكري اليوم حتى أعلم مع من أنا ومن أشبه ، فنشر المصحف فمر بقوم :  
﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ الْلَّيْلِ مَا يَهْجِعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومٌ﴾ [سورة الذاريات، الآيات: ١٧-١٩].

(١) فسرت كلمة «الذكر» هنا بمعنىين : بمعنى «الشرف» كما روى عن ابن عباس - رضي الله عنه - . وبمعنى القصة وبيان الحال كما روى عن مجاهد - رضي الله عنه - .

(٢) طبع هذا الكتاب باسم « قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر » بمصر وبستان . وهو في الأصل مجموعة لثلاث رسائل . وقد لخصها العلامة أحمد ابن علي (م ٨٤٥هـ) .

**البعث الإسلامي**  
القرآن يتحدث عن نفسه  
البيقين » [سورة الدثر : الآيات : ٤٢-٤٧].  
قال : فوقف . ثم قال : اللهم أبرا إليك من هؤلاء . قال : فما زال يقلب  
الورق ويلتمس حتى وقع على هذه الآية .  
» وأخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . عسى  
الله أن يتوب عليهم . إن الله غفور رحيم » [سورة التوبة ، الآية : ١٠٢].  
فقال : اللهم هؤلاء .

٧- القرآن يتناول ذكر تلك الأمم والشعوب : ويختارها للعرض والقصص التي لا تنقطع أوضاعها وأعمالها ، ولا تنتهي صورها وأخلاقها ، بل تتكرر على مدار التاريخ ، كما أنه ، ما تعرض لتلك الجرائم والذنوب التي لا تكون إلا نادرة ، شاذة ، يخترعها الإنسان في فترة من الفترات بذكائه وحنكته الإجرامية ، إنه تعرض لجرائم تتكرر في الشعوب والأفراد . وذنب تشيع بين الناس .

في ضوء ما أسلفنا من الحقائق الواضحة وغيرها مما لم نتعرض له .  
يتجلّى القرآن الكريم كتاباً حياً غضاً دائم النضارة والبقاء ، لا تبلى  
جذته ، ولا يؤثر عليه الماضي والحال ، والقديم والجديد . إنه فوق  
التطورات وفوق الأحداث . وإنه ليخاطب كل فترة من فترات التاريخ .  
وكل مدنية من مدنيات الأرض . وإن دعوته حية طرية ، ورسالته غضة  
نصرة ، إنه صورة البشر الناطقة ، ومرآة الفطرة الإنسانية الوضيئه  
الصافية ، ولقد قال عنه منزله بحق .

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾  
[سورة النور، الآية: ٢٤].

﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات بيناتٍ وَمِثْلًا مِنَ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٧]. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصْصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ . ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه . وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿سورة يوسف، الآية: ١١١﴾ .

وَرَبُّ قَوْمٍ :  
﴿تَنْجَافِي جَنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمْعًا وَمَا  
رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ﴾ [سورة السجدة ، الآية : ١٦].

وَرَبُّ قَوْمٍ :  
﴿يَبْيَتُونَ لِرَبِّهِمْ سَجَدًا وَقِيَامًا﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٦٤].

وَمِنْ بَقْوَةٍ :  
﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بَعْدُهُمْ خَاصَّةً ۚ وَمَنْ يَوْقَنْ شَحْ نَفْسِهِ  
أَوْ لَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر ، الآية : ۹] .

وَمِنْ بَقْوَةٍ :  
• يُجْتَنِبُونَ كُبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ . وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ .  
الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ . وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ . وَمَا  
[٢٧-٢٨] .

قال : فوقف ، ثم قال : اللهم إني لست أعرف نفسي هنا ، ثم أخذ في

﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ . وَيَقُولُونَ أَئُنَا لِتَارِكُوا آلَهُتَنَا  
[٢٥-٢٦] . شاعر محنون، سورة الصافات، الآياتان : ٢٥-٢٦]

﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يُسْتَبَشِّرُونَ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٤٥].

وَرَبِّ بَرْمٍ يَسَّلُّهُمْ .  
«ما سَلَكَكُمْ فِي سَقْرٍ • قَالُوا لَمْ نَكُنْ مِنَ الْمُصْلِينَ • وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْمُسْكِينَ  
وَكَنَا نَخْوَضُ مَعَ الْخَائِضِينَ • وَكَنَا نَكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا

البعث الإسلامي

الصحوة الإسلامية . طريق إلى السعادة المنشودة

الخير خطر على الشر ، وان الفضيلة خطر على الرذيلة ، ولعل أوربا تشعر بذلك وترى إلى الأمر من هذه الناحية ، لأنها تعرف ما يدل عليه التاريخ الإسلامي ، و هو أن الصحوة الإسلامية الأولى كانت قد جاءت بنشر العلم والمعرفة ، و جاءت بتخليص الشعوب والأمم من ظلم قادتها وحكامها . وإنها نشرت العدالة والفضيلة في العالم وانها قضت على الجهل وعلى الأمية السائدة في الحياة العربية الجاهلية . و وطدت دعائم المعرفة ورفع أصحابها مشعل العلم في وقت كانت البلدان الأوروبية تتسع في دباجير الظلمات ، وفي وحشية وهمجية كاملة . وكانت أميركا كلا شيء على الخارطة العالمية ، ولم يتهض الغرب نهضته هذه إلا بعد التتلمذ على علماء المسلمين ومدارسهم الأندلسية . ونجد أثر ذلك في جميع مجالات العلم الغربي . ونجد أن دعائم نهضة العلم فيها مؤسسة على ما قدمه علماء المسلمين من معرفة وعلم .

ولا شك أن نهضة الغرب الحالية زامت تقهقر المسلمين عن التمسك بدعائم العلم ، وتخلفهم عن الجهد في علوم الحياة ومعارفها . ولكن شعوب المسلمين بدأت تصحو من سباتها العلوي منذ فترة من الزمن . ودخلت الآن في مجال الجهد والتسابق . فلم تعد الآن تستحق أن تتهم بالتخلف والسقوط ، بمتلاها كانت تتهم قبل نصف قرن .

والصحوة الإسلامية هي نتيجة لشعور كثير من المسلمين بضعفهم في أسباب الحياة ، و رمز لحاولتهم و جهدهم للعودة إلى سابق عزهم وشرفهم . وأي جهد تقوم به أمة أو شعب لتحسين حالها و ترقية مؤهلاتها و لطلب الشرف الذي تستحقه لن يكون خطراً لأمة أخرى . و يدل تاريخ المسلمين على أن المسلمين أفادوا دائمًا غيرهم و عملوا

## الصحوة الإسلامية . طريق إلى السعادة المنشودة

بقام : سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوبي  
الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

إن الصحوة الإسلامية التي ظهرت اليوم في البيئات الإسلامية المختلفة في العالم يقظة تبعث المسلمين على الأمل والهمة ، وهم يعتقدون به آمالا طيبة . ولكننا نجد في نفس الوقت أن القوى الغربية و وكلاءها في الشرق يصفونها بالأصولية . يريدون باطلاق هذه الكلمة عليها معنى مذموما . ولا يكتفون بهذا بل يقاومون هذه الصحوة بشدة ، ويستعملون لصدها كل وسائلهم السياسية و المادية ، و ذلك لأنهم يكرهون هذه الصحوة . و يعدونها خطراً على أنفسهم و يبدون خوفهم منها ، مع أنه لا داعي هناك للخوف منها . ولا سبب معقولاً لعدها خطراً على أحد .

إن الصحوة هي اليقظة . والصحوة الإسلامية هي يقظة إسلامية . واليقظة الإسلامية لم تكن أبداً خطراً على أحد . ولا شرًا لأحد . إنها دعوة للفضيلة والأخلاق وإنها محافظة على حياة البر والاستقامة والسلوك الحسن .

ولكن قادة الغرب وساسة الاستعمار يبدون خوفاً من هذه الصحوة ويعدونها خطراً . خطراً على من ؟ إذا كانوا يعودونها خطراً على سياسة الاجحاف والظلم . وعلى أعمال الافساد والدمار ، وعلى أخلاق الخلاعة والانحراف . فإن رأيهم يكون صحيحاً لأن النور خطر على الظلام . وأن

لإسعادهم كذلك اللهم إلا أن يكون غيرهم معادين لهم ، ناصبين لهم العداء ،  
محاولين القضاء على طاقتهم وشخصيتهم الإسلامية .  
فالصحوة الإسلامية ليست إلا جهداً لاستعادة الشرف المسلوب ،  
ولحصول على حقوق الحرية الدينية والكرامة الإنسانية ، التي حرمت  
القوى الغالبة الكافرة المسلمين منها ، منذ أن بدأت القوى الغربية غزوها  
للشعوب الإسلامية الشرقية واستعمار أوطانها واستغلال طاقاتها المادية ،  
وكان صعباً على الاستعمار الغربي أن يخرج من أوطان المسلمين ، فلم  
يخرج إلا بعد كفاح مريض وطويل ، وتضحيات عديدة من الشعوب المسلمة ، و  
ما خرج ترك وصايتها السياسية والاقتصادية على هذه الشعوب ، وبقي  
يلعب دور القيادة الفكرية المهينة لهذه الشعوب بوسائل قوته المالية  
وقدرته الإعلامية ، فهو يضمّ أموراً ويهون أموراً ، فيجعل بشطارته  
الإعلامية والأدبية من الحبة قبة ومن القبة حبة .

ولا عجب في ذلك ، فإن الغرب المحتل لا يمكن أن يحمل في قلبه احتراماً  
لصحوة تقوم على الفكرة الدينية ، لأن حياة الغرب قائمة على أساس  
الاستغلال المادي الخالص ، وعلى الأثرة والنفعية وهي حياة لا تتلاءم مع  
حياة الفضيلة والدين ، والتضحية الفردية للبدأ ، وإيثار الآخرة على  
الدنيا ، فالغرب يكره الصحوة الإسلامية لأنها تشكل اتجاهها معاكساً  
لاتجاهه ، فهما ضدان لا يجتمعان في مكان واحد ، ولا يقوى اتجاه الأثرة  
امام اتجاه الإيثار ، ولا فكرة الاستغلال المادي أمام فكرة التضحية  
بالنافع المادي طلباً لنافع الآخرة ، وقد جرب الغرب قوة الاتجاه  
الإسلامي وصودره امام الاتجاه المادي ، في الحروب التي نشبت بين  
أسلاف الشعوب الغربية في الماضي وأباء المسلمين ، فلا عجب في خوف

**الصحوة الإسلامية . طريق الـ ٦ السماحة المنشورة**  
البعث الإسلامي  
الغرب من الصحوة الإسلامية . فإن خوفه مؤسس على طلب البقاء على  
مصالحه المادية المفرضة ، ولكن العجب من هؤلاء التابعين للغرب . في  
آرائه ونظراته ، والمتلذذين على علومه وعارفه . هل هؤلاء التابعون  
للغرب يؤمنون بفكرة الغرب الكافرة للحياة ، ونظريته المعادية إلى الدين  
الإسلامي ، أم أنهم جاهلون عن حقيقة الإسلام وحقيقة الأهداف الغربية .  
مخدوعون بالنعرات والمزاعم . مخدوعون بدعایات الاعلام الغربي  
فانصهرت نفوسهم في قوالب الغرب المعادية للإسلام .

إنما يخطئ من يظهر خوفه من الصحوة الإسلامية ، أما أعمال العنف  
التي تظهر هنا وهناك في بعض الأحيان من بعض أبناء الإسلام ، فربما  
تجعل الغرب وتلاميذه في الشرق يحسبون مصدرها هي الصحوة  
الإسلامية ، مع أن الصحوة الإسلامية لا تعتمد على الاعتداء والإرهاب  
الظالم لأن القرآن الكريم أعلن منذ ظهور الإسلام أن لا إكراه في الدين ،  
فالقوى الإسلامية لم تستعمل وسائل الإكراه ولو جر ذلك إلى خسارة في  
كسب أهدافها الإسلامية ، فلو أنها استعملت وسائل الإكراه في الشام  
مثلاً ، لم يبق في تلك البقعة مسيحيون ، وإن استعملتها في شبه القارة  
الهنديّة لم يبق فيها هندوس مع أن المسلمين حكموا الشام والهند قرونًا  
متطاولة ، إن الجهود الإسلامية تعتمد على الدعوة والتوعية والإقناع ،  
ويدل تاريخ الإسلام أنه كسب ما كسبه من انتشاره في الشعوب ، هو  
بجهوده الدعوية والعليمة . أما القتال فهو بالجهاد العادل ، إذا ما اضطره  
الأعداء إلى ذلك . أما هذا الإرهاب الذي يتهمه الغرب وأتباع الغرب  
الإسلاميون ، فهو إرهاب خلقه الغرب وأتباع الغرب أنفسهم ، بسياساتهم  
الرذيلة ومنهجهم الظالم في معاملة الشعوب المسلمة والسلوك المهيمن معها .

في تقاليدها الإسلامية وعتقداتها الموروثة . فحينما تمنع نساء المسلمين من الحجاب الإسلامي ويضطهدن من يلبسها . وحينما يعاب قانون أحوالهم الشخصية ويستهزأ بأحكام الطلاق ويتهجم أوباش الكتاب والعلماء من أتباع الغرب على الأحوال الشخصية الإسلامية ويعيرونها ويتناقصونها . وحينما تلغ أقلام بعض كتابهم في شرف كتاب الله المجيد . و في كرامة الرسول العظيم . أليس هذا العمل مما يلهب عواطف الغيرة والشعور بالكرامة . في نفوس أبناء الإسلام ويحملهم على الغضب والحفاوة . أليسوا من لحم و دم . أم هم من جماد . كيف يمكنهم أن يصبروا على إهانة كتابهم السماوي المقدس وإهانة دينهم العزيز ورسولهم المحبوب المفدي . وفيهم كهولهم الذين غيرتهم على الدين شديدة ، وفيهم شبابهم الذين عواطفهم قوية دافقة . إذا أسيئ إليهم تلتهب التهابا .

ولكنهم حينما يغضبون غيرة لرسولهم ولكتابهم السماوي . يتهمون بالإرهاب ويضربون بالسياط وتملأ بهم الزنزانات ويصب عليهم من العذاب ما تقشر منه الجلد . وكل رجل يضطهد ويمر من التعذيب والظلم ويتألم . فلا غرو أنه يتألم أفراد أسرته كذلك . ويتجاوب عواطفهم مع مشاعر أخيهم الضطهد . وبذلك يتکاثر عدد الغاضبين على المعذبين ويبلغ غضبهم مبلغاً عظيماً . وقد يتجاوز الحدود ، ولكن من هو السبب في كل ذلك ؟ أليس السبب هذه الإهانة ثم هذا الاضطهاد والتعذيب . إنما هو الإرهاب من الظالم العتدي . وهو الذي يخلق إرهاباً في المظلوم المعذى عليه . فليس ظن الغرب صحيحاً أن مبعث ذلك هي سياسة الصهوة الإسلامية . أو مبادئ الإسلام . أو عمل المحافظين على دينهم وإسلامهم . بل إنما سببه هو اعتداء الكتاب المترددين والعلماء المترددين . الذين

**البعث الإسلامي . طريق إلى السعادة النبوية**

لا يرعنون كرامة للكرماء والأوفياه لدينهم . وإساءة قادة أوروبا وتلاميذهم في الشرق إلى أنصار الإسلام . ونرى ذلك بوضوح في شأن المنادين بالدعوة إلى الفضيلة والخير . والداعين لإصلاح ما أفسده أعداء الإسلام . البازلدين جهدهم لاستعادة الحقوق الإسلامية للجماهير الإسلامية . ولبناء الحياة المسلمة على الأسس الأصيلة النابعة من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ . ويريدون أن يقاوموا هجمات الاستشراق الاستعمارية عن طريق الثقافة والأدب والاعلام فهل في هذا عيب ؟ أو شيء يستدعي الذم ؟ أليس طلب الحقوق أمراً جائزاً محترماً في نظر كل إنسان . فلماذا يتهمون المسلمين إذا سعوا لذلك بأصوليين . وهي كلمة حسنة ، ولكنهم يستخدمونها في سياق الذم والاستهانة . كيف يجوز أن يبسط النصارى شبكة جماعات التبشير في بلاد المسلمين . فيملؤون إندونيسيا بوسائلهم التبشيرية ويستخدمون طرق الاغراء والضغط المادي ويستغلون فيها أحوال الفقر . وفي بنغلاديش وفي مناطق إفريقيا الكثيرة . ويسعون لنشر دينهم فيهم . وكل ذلك تحت مظلة الدول المتحضررة الكبرى ثم لا يتهمون بالأصولية . لأن المشرف عليها هي أميركا وفرنسا وبريطانيا . ولكن المسلمين إذا سعوا للمحافظة على دينهم ودعوا إلى ذلك فإنهم يتهمون بالأصوليين . وذلك لأنهم لا مشرف على جهودهم من حكومات المسلمين أحد . لأن حكومات المسلمين تخاف من حكومات الكفر في العالم . ثم لا يكتفون بهذا الظلم والاعتداء . بل يلتجأون إلى القهر والعدوان الظالم عند ما يحصل من رد فعل في شباب المسلمين . على إهانة الإسلام ومن احتقار معتقدات المسلمين الإسلامية ومن بخس حقوقهم الدينية . تلتهب عليه عواطف هؤلاء الشباب فيبدون غضبهم واحتاجاتهم فيه .

**القراطمة .. و معتقداتهم !**

لقاء : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر  
رئيس تحرير مجلة «البحوث الإسلامية» الرياض

لهم يحفظ مذهب باطني من البحث والدراسة ، بمثل ما حظى مذهب  
القراطيس ، ودورهم التاريخي ، ذلك أن هذا الذهب طفى دعاته . وأضروا  
بالمسلمين ، وقتلوا الحجاج في داخل الحرم . وحملوا معهم الحجر الأسود ،  
ولم يعد لكانه إلا بعد عشرين عاماً .. وأفسدوا في الأرض . وأحلوا  
محارم الله ، و عطلوا الحج عدة سنوات . و قطعوا الطرق و أخافوا  
السبيل .

لذا كان نصيب حركتهم من الدراسة والرصد التاريخي وافراً .  
والمؤلفات في معتقداتهم كثيرة ، وآراء أهل السنة والجماعة فيهم واضحة .  
حيث سموهم بالقراطمة ، قال ابن جرير الطبرى - رحمة الله تعالى - في  
كتابه : « تاریخ الأُمّ وملوک » : إن الرجل الذکور - وهو حمدان قرمط  
أبرز دعاتهم - كان أحمر العینین ، شديدة حمرتها ، وكان أهل القرية  
يسمونه كرمتیة ، لحمرة عینیه ، وهو بالنبطیة أحمر العینین . ثم خفف  
فقالوا : قرمط ، وقد نقل الطبرى هذه القصة عن بعض أصحابه .  
وقد ذكر ابن الجوزى - رحمة الله تعالى - أن ألقابهم : الإسماعيليين ،  
والباطنية ، والقراطمة ، والخرمية ، والبابكية ، والحرمة ، والسبعية  
والتعلیمية ، وعلى سبب تسمیتهم بالإسماعیلیة : لانتسابهم إلى  
إسماعيل بن جعفر [القراطمة : ٢٥] .

وكان زعماء هذه الطائفة يطلقون على أنفسهم اسم : المؤمنون

إنه يجب أن يعقل الغرب وتلاميذ الغرب وكلاؤه في الشرق ، ويجب أن يعرفوا أن ما يسمونه بالأصولية وما يسمونه بالإرهاب . إنما هو رد فعل لسياستهم الجائرة ولاعتداء المستعمررين وظلم عمالهم في مجالات السياسة والثقافة والأدب . فإذا كان هناك إرهاب فهو نتيجة لإرهاب السياسة الاستعمارية الغربية لا غير . ولقد صمد الدين الإسلامي دائمًا أمام الاعتداءات وبقي حيَا قائِمًا ، وإنه سيصمداليوم كذلك امام هذه الاعتداءات والاضطهادات ، سواء تأتي من قوى الاستعمار الغربي رأساً أو تأتي عن طريق تلاميذها وكلائتها في الشرق . ولقد جاء إعلان الله تبارك وتعالى لل المسلمين في كتابه الحكيم : « وأنتم الأعلىون إن كنتم مؤمنين » فالنصر هو لأصحاب المبادئ الإسلامية والدين الإسلامي .

[١١: ١٤٩-١٦٠] وطريقتهم في الدعوة إلى معتقداتهم ، تشبه الأسلوب الماسوني ، يقول ابن الجوزي - رحمة الله تعالى - : وأما الإشارة إلى مذهبهم فإن مقصدهم الإلحاد ، وتعطيل الشرائع . وهم يستدرجون الخلق إلى مذاهبهم بما يقدرون عليه ، فيميلون إلى كل قوم بسبب يوافقهم . ويميزون من يمكن أن يخدعهم من لا يمكن ، فيوصون دعاتهم بالقول لكل داع : إذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك . ودخل على من تدعوه من جهة ظلم الأمة لعلي - عليه السلام - وقتلهم الحسين ، وسببهم لأهله والتبرؤ من تيم وعدي وبني أمية ، وبني العباس وقل بالرجعة . إن علياً يعلم الغيب فإذا تمكنت منه أوقفته على مثالب علي وولده . وبنيت له بطلان ما عليه أهل ملة محمد - ﷺ - وغيره والرسل - عليهم السلام - . وإن كان يهودياً فادخل عليه من جهة انتظار المسيح ، وأن المسيح هو محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وهو المهدى واطعن في النصارى والملائكة ، وإن كان نصرانياً فاعكس . وإن كان صائبياً فتعظيم الكواكب . وإن كان مجوسياً فتعظيم النار والنور . إلى آخر ما ذكر - رحمة الله تعالى - من خفاياهم [٥١-٥٢].

ويربط كثير من الباحثين بين الدعوتين الفاطمية والقرمطية فيرون أنها دعوة واحدة باطنية ، تلبس لكل حاله لبوساً يلام الوقت الذي تrepid أن تظهر فيه . والبيئة التي تحب أن تنبت فيها .

وفي الوقت الذي بدأت تخرج فيه كتابات عن القرامطة والفاتميين ، بالدفاع عنهم ومبرر عملهم مثل كتاب عارف نار : القرامطة أصلهم ، نشأتهم . ومثل حماسة بعض المستشرقين ، فإن الحاجة تدعو إلى لفت نظر المسلمين إلى مثل هذه الطائفة الباطنية ، وتتبعهم في تاريخهم

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن القرامطة هاجموا مكة للمرة الثانية عام ٤٢١هـ حيث دخلها قائدتهم أبو طاهر الجنابي . فقتل أهله ومن كان فيها من الحجاج . وهدم زمزم . وملأ المسجد بالقتلى . وأقام بمكة ستة أيام وهو يحرض أصحابه على القتل . وينتقل من مكان إلى مكان ويقول : أجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار . وظلوا يقتلون وينهبون ، ويأتون أموراً تقشعر من هولها الأبدان ويحرضهم بقوله :

أنا بالله وبالله أنا = يخلق الخلق وأفنينهم أنا

وكان من جملة ما نهبه القرامطة من مكة الحجر الأسود ، الذي تعلوه وحملوه إلى هجر . حيث بقي حتى عام ٤٢٩هـ وقلع أبو طاهر بباب البيت ، وأصعد رجلاً يقتلع الميزاب فسقط ومات . ونهبوا بيوت مكة

أعمالهم التي ملأت بطون كتب التاريخ والعقائد : مثل الباطنية للفزالي ، والقرامطة لابن الجوزي ، والملل والنحل للشهرستاني ، والفصل في الملوك لابن حزم ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والكامل لابن الأثير ، ومن الكتب الحديثة « القرامطة أول حركة اشتراكية » لطه الولي ، و « القرامطة نشأتهم وعلاقتهم بالفاطميين » للمستشرق ابن خويه ، وغيرها من الكتب الكثيرة ..

خاصة وأن التابعين لتاريخهم يرون أن جذورها لا تزال باقية ، وأن دعاتها حريصون عليها في كل بلد من بلاد المسلمين ، وهي إن خفيت معالها مبدئياً ، واتخذت مظاهر متنوعة ، فإن السر باطن في نفوسهم ، لأن الجهل بأمور الإسلام يجعل كل داعية مغرياً يستغل العاطفة في دس ما يريد بحجة التشيع لآل البيت ، يقول الدكتور محمد الصباغ محقق رسالة ابن الجوزي عن القرامطة : ومن المعلوم أنه ما دخل على الإسلام حيف مثل ما دخل عن طريق التشيع المغالي . ويقرر ذلك المنصفون من الشيعة [ص ٩ ، المقدمة] . ثم يقول : ولذلك فإنك ترى معظم الدجالين الذين قاموا بحركات هدامية خطيرة كانوا يدعون النسب العلوى ، ومتى استطاعوا الحصول على ثقة الناس بصحبة دعواهم تمكناً أن يعملوا كل شيء . وأن يحملوا الناس على ما يريدون من فكر وعمل . بحجة العصمة عن الخطأ . وتلقى الوحي من الله [نفس المصدر : ص ١١] .

وقد ذكر طه الولي نقلاً عن ابن عذاري المراكشي في كتابه « البيان الغرب في أخبار الأندلس والمغرب » قوله : وقد اشتهر من استخفاف القرامطة بالدين . وكثرت به الأخبار والأحاديث . وكان من أظهر مذهبهم وأعلن به أبو سعيد الجنابي . وقد تغلب على البحرين . فإنه وضع عنه

جميع الفرائض ، وأعلن الزنا واللواء والكذب ، وشرب الخمر ، وترك الصلاة . وحرم على الغلمان الامتناع من أراد أن يفعل بهم ، وجعل حد من امتناع منهم الذبح - لعنه الله على أفعاله هذه - وكانت له ليلة تسمى : « الإمامية » يجمع فيها نساءه ونساءهم ، فمن ولد من تلك الليلة يسمى : « ولد الإخوان » نقول هي الليلة التي سماها الحمادي « المشهد الأعظم » ثم يذكر في موطن آخر وفي هذا المعنى ما قاله عبد القاهر البغدادي في كتابه : « الفرق بين الفرق » من أن عبد الله بن الحسن القير沃اني الداعي ، وجه إلى سليمان بن الحسن الجنابي - القرمي - رسالة يقول فيها له : وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل . ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليس لها زوجة في حسنها فيحررها على نفسه وينكحها من أجنبى ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبى . وما وجه ذلك . إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغاية لا يعقل ، وهو الإله الذي يزعمونه [ص ٨٢-٨٣] .

وقد أورد المستشرق الهولندي دي خويه في كتابه عنهم : بأنهم يؤمنون النصوص على هواهم : فيؤلون الحياة الأخرى حسب آيات القرآن الكريم بأن ذلك العلم ، لأنهم ما رأوا أحداً يقتل فيعود حياً ، والنفحة بالصور بإقامة دعوة الناطق إلى ظاهر الشريعة ، ذلك أنهم يرون أن للقرآن الكريم ظاهراً هو ما يفهم من اللفظ ، وباطناً لا يعرفه إلا مؤوليهم .

كما ذكر عنهم أنهم أباحوا شيوعية النساء وشيوعية المال ولا ملكية للأفراد .. وهذا ما قامت عليه المبادئ الشيوعية في العصر الحاضر ، والتي تهافت أركانها بفضل من الله وإحسانه على عباده . بعد أن مقتها دعاتها واختلفوا فيما بينهم . وقد جمعت الموسوعة الميسرة الصادرة عن

ندوة الشباب بالرياض معلومات مختصرة عن هذه الطائفة فعرفتها : بأنها حركة باطنية هدامة ، اعتمدت التنظيم السري العسكري ، ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وحقيقةاتها الإلحاد والشيوخية والإباحية ، وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية سميت بهذا الاسم إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذي

نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ [ص/٢٩٥].

أما عن أفكار ومعتقدات هذه الطائفة فملخص ذلك :

= لقد أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات ، وعدم احترام الملكية الشخصية .

= يجعلون الناس شركاء في النساء بحجج استئصال أسباب الماغضة ، فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته من إخوانه .

= يلغون أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلوة وسائل الفرائض الأخرى . ويستخدمون العنف الذريع لتحقيق الأهداف .

= يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب ، وأن الجنة هي النعيم في الدنيا ، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلوة والصوم والحج والجهاد .

= ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين . والبدو الجفاة . وضعف النفوس . وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات . وأصبح مجتمع القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة . وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض .

= يقولون بالعصمة . وأنه لابد في كل زمان من إمام معصوم . يؤول الظاهر . ويساوي النبي في العصمة .. ومن تأويلاً لهم .

= الجنابة : مبادرة المستجيب بإفشاء السر إليه . قبل أن ينال رتبة

الاستحقاق .

= الصيام : الإمساك عن كشف السر . = البعث : الاهتداء إلى مذاهبهم .

= النبي : عبارة عن شخص فاهمت عليه من إله الأول بقوة التالي ، قوة قدسية صافية .

= القرآن : هو تعبير محمد عن المعارف التي فاهمت عليه . ومركب من جهنم ، وسمى كلام الله مجازاً .

= يفرضون الفرائض على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم .

= يقولون بوجود إلهين قديمين - تعالى الله عن ذلك - : أحدهما على لوجود الثاني ، وأن السابق خلق العالم . بواسطة التالي لا بنفسه . الأول تام والثاني ناقص . والأول لا يوصف بوجود ولا عدم ولا موصوف ولا غير موصوف ، ويدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتل الحسين .

= يقولون بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب . فإذا تمكنا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية .

= وهدم الدين : يعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً .

= دفع هذا كله فهم يدعون إلى مذهبهم اليهود والنصارى والصابئة والمجوس والفلسفه وأصحاب المجنون والملحدة والدهريين . ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه [ص/٢٩٦-٢٩٧].

فهل بعد هذا كفر . وهل أقبح من هذه الأعمال التي تنكرها العقول المريضة . قبل السليمة . والشككة قبل المستيقنة . ومع ذلك يدعون الإسلام بهتاناً وزوراً . فالإسلام ليس بالمعنى ولكنه عمل وانقياد . وقد قيض الله العيونيين فقضوا على دولتهم في الأحساء والبحرين .

العدد ٧ - المجلد ٣٩ - ربیع الثانی ١٤١٥هـ  
البعث الإسلامي  
وانتهت شوكتهم . وقد كانت دولتهم في الجزيرة العربية ما بين عام  
٢١٧هـ إلى عام ٤٧٠هـ ، ولكن بقي للقراطمة جذور في مناطق نفوذها  
السابقة . وما أعملهم هذه إلا جزءاً من المؤامرة على الإسلام كما أوضح  
أنور الجندي في كتاب له بهذا العنوان .

افتائة : جاء في مذهب الأغاني : أن رجليين من هوازنجاورا في بني مرة بن  
عوف ، وكانا قد أصابا دما في قومهما ، ثم إن قيس بن عاصي المنقري أغار  
على بني مرة ، فأصاب واحداً منها في عدة أسارى كانوا عندهم ، ففدى  
كل قوم أسييرهم من قيس بن عاصي ، وتركوا الهوازني ، فاستغاث أخوه  
بوجوه من بني مرة منهم : سنان بن أبي حارثة ، والحارث بن عوف ،  
والحارث بن ظالم ، وهاشم بن حرملة ، والحسين بن الحمام ، فلم يغيثوه  
.. فركب إلى موسم عكاظ ، فأتى منازل ومذجع ليلاً ونادى :  
دعوت سناناً وابن عوف وحارثاً

وعليت دعوى بالحسين وهاشم  
أعيذهم في كل يوم وليله  
بترك أسيير عند قيس بن عاصي  
حليفهم الأدنى وجاري وتهم  
ومن كان عما سرّهم غير نائم  
فصموا ، وأحداث الزمان كثيرة  
وكم في بني العلات من متصرف  
فياليت شعري من لإطلاق غلبة

واسمه  
ومن ذا الذي يحظى به في الـ  
فسمع صوتاً ينادي من الوادي بهذه الأبيات :

البعث الإسلامي  
القراطمة .. ومؤامراتهم  
ألا أيها الـ  
عليك بحبي يجلـى الكـ ربـ  
عليك بهذا الحي من مـ نـجـ  
فـانـهـمـ لـرـضـ اـ وـغـضـ  
فنـادـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـ دـانـ  
وـقـيـساـ وـعـمـروـ بـنـ مـعـدـ يـكـربـ  
يـفـكـواـ أـخـاكـ بـأـمـ وـالـهـ  
وـأـقـلـ بـمـثـلـهـمـ فـيـ الـعـربـ ربـ  
أـولـاـكـ الرـؤـوسـ فـلـ تـعـدـهـمـ  
وـمـنـ يـجـعـلـ الرـأـسـ مـثـلـ الـذـنبـ  
فـاتـبعـ الصـوتـ فـلـ يـرـ أـحـدـاـ ، فـفـداـ عـلـىـ الـكـشـوـحـ قـيـسـ بـنـ عـبـدـ يـغـوثـ  
الـرـادـيـ فـأـخـبـرـهـ خـبـرـهـ ، فـقـالـ لـهـ : وـالـلـهـ إـنـ قـيـسـ بـنـ عـاصـمـ مـاـ قـارـضـهـ  
مـعـرـوفـاـ قـطـ ، وـلـاـ هوـ لـيـ بـجـارـ ، وـلـكـ اـشـتـرـ أـخـاكـ مـنـهـ ، وـعـلـيـ الثـمـنـ وـلـاـ  
يـمـنـعـ غـلـوـهـ ، ثـمـ أـتـىـ عـمـروـ بـنـ مـعـدـ يـكـربـ ، فـقـالـ لـهـ عـمـروـ : هـلـ بـدـأـتـ بـأـحـدـ  
قـبـلـ ؟ فـقـالـ : نـعـمـ بـقـيـسـ بـنـ عـبـدـ يـغـوثـ ، قـالـ : عـلـيـكـ بـمـنـ بـدـأـتـ بـهـ ، فـتـرـكـهـ  
وـأـتـىـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـ دـانـ ، فـأـخـبـرـهـ بـقـصـتـهـ ، فـقـالـ لـهـ يـزـيدـ : مـرـحـباـ بـكـ  
وـأـهـلـاـ ، اـبـعـثـ إـلـىـ قـيـسـ بـنـ عـاصـمـ ، فـإـنـ هـوـ وـهـبـ لـيـ أـخـاكـ شـكـرـتـهـ ، وـإـلـاـ  
أـغـرـتـ عـلـيـهـ حـتـىـ يـتـقـيـنـيـ بـأـخـيكـ ، فـإـنـ بـلـتـهـاـ وـإـلـاـ دـفـعـتـ إـلـيـكـ كـلـ أـسـيـرـ مـنـ  
بـنـيـ تـمـيمـ بـنـ جـرـانـ ، فـاـشـتـرـيـتـ بـهـ أـخـاكـ ، فـقـالـ : هـذـاـ الرـضاـ ، فـأـرـسـلـ يـزـيدـ  
إـلـىـ قـيـسـ بـنـ عـاصـمـ بـهـذـهـ الـأـبـيـاتـ :

يـاـ قـيـسـ أـرـسـلـ أـسـيـرـاـ مـنـ بـنـيـ جـشـ  
إـنـيـ بـكـلـ الـذـيـ تـأـتـيـ بـهـ جـازـيـ  
لـأـتـمـ الـدـهـرـ أـنـ تـشـجـيـ بـغـصـتـهـ  
فـاخـتـرـ لـنـفـسـكـ إـحـمـادـيـ وـإـعـزـازـيـ

فافك أخا منقر عَنْهُ وَقَلْ حَسْنًا  
فيما سئلت وَعَقْبَهُ بِإِنْجَازِي

وَبَعْثَ بِالْأَبْيَاتِ رَسُولًا إِلَى قَيْسَ بْنِ عَاصِمٍ، فَأَنْشَدَهُ إِيَاهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُ :  
يَا أَبَا عَلَى إِنْ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الدَّمَانِ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ وَيَقُولُ لَكَ : إِنْ  
الْمَرْوَفُ قَرْوَضٌ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ، فَأَطْلَقَ لِي هَذَا الْجَشْمِي فَقَدْ اسْتَعْنَانِ  
بِأَشْرَافِ بَنِي مَرَّةٍ، وَبِعُمَرَوْ بْنِ مَعْدِيكَرْبٍ، وَبِمَكْشُوكِ الْمَرَادِيِّ، فَلَمْ يَصْبِ  
عَنْهُمْ حَاجَتُهُ : فَاسْتَجَارَ بِي، وَلَوْ أَرْسَلْتُ إِلَيْيَ فِي جَمِيعِ أَسَارِي مَخْرَجٍ  
لِفَضْيَتِ حَاجَتِكَ.

فَقَالَ قَيْسَ بْنُ عَاصِمٍ لِنَحْنَ حَضَرَهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ : هَذَا رَسُولُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ  
الْمَدَانِ، سَيِّدِ مَذْجَعِ وَابْنِ سَيِّدِهَا، وَمَنْ لَا يَزَالَ لَهُ فِيْكُمْ يَدٌ، وَهَذِهِ فَرَصَةٌ  
لِكُمْ فَمَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : نَرَى أَنْ نَقْبَهُ عَلَيْهِ، وَنَحْكُمُ فِيهِ شَطَطًا، فَبَانَهُ لَنَا  
يَخْذُلَهُ أَبْدًا، وَلَوْ أَتَى ثَمَنَهُ عَلَى مَالِهِ، فَقَالَ قَيْسٌ : بِئْسًا رَأَيْتَمُ، أَمَا  
تَخَافُونَ سَجَالَ الْحَرَوبِ، وَدُولَ الْأَيَامِ، وَمَجاَزَةَ الْقَرْوَضِ، فَلَمَّا أَبْوَا عَلَيْهِ  
قَالَ : بِيَعْوَنِيهِ، فَأَغْلَوْهُ عَلَيْهِ فَتَرَكَهُ فِي أَيْدِيهِمْ، وَكَانَ أَسِيرًا فِي يَدِ رَجُلٍ  
مِنْ بَنِي سَعْدٍ، وَبَعْثَ إِلَى يَزِيدَ فَأَعْلَمَهُ بِمَا جَرَى، وَأَنَّ الْأَسِيرَ لَوْ كَانَ فِي  
يَدِهِ، أَوْ فِي يَدِ مَنْقَرِ لَأَخْذَهُ، وَبَعْثَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ.

فَأَرْسَلَ يَزِيدَ إِلَى السَّعْدِيِّ : أَنْ سَرِّ إِلَيْيَ بِأَسِيرِكَ وَلَكَ فِيهِ حَكْمُكَ، فَأَتَى  
السَّعْدِيُّ يَزِيدَ، فَقَالَ لَهُ : احْتَكِمْ، فَقَالَ : مَائِةً نَاقَةً وَرَعَائِهَا، فَقَالَ لَهُ  
يَزِيدَ : إِنَّكَ لِقَصِيرِ الْهَمَةِ، قَرِيبِ الْفَنِّيِّ، جَاهِلٌ بِأَخْطَارِ بَنِي الْحَارَثِ، أَمَا  
وَاللَّهِ لَقَدْ غَبِنْتَكَ يَا أَخَا بَنِي سَعْدٍ، وَلَقَدْ كُنْتَ أَخَافُ أَنْ يَأْتِي ثَمَنَهُ عَلَى  
جَلَّ أَمْوَالِنَا، وَلَكِنَّكَ يَا بَنِي تَمِيمٍ قَوْمٌ قَصَارُ الْهَمِّ وَأَعْطَاهُ مَا احْتَكَمْ،  
فَجَاءَهُمْ الْأَسِيرُ وَأَخْوَهُ حَتَّى مَاتَ بِنْجَرَانَ [٥ : ٦٠].

.....

## ملامح النهج الإيماني في التدبر والتفكير

(العملة الأولى)

سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحووي

شاء بين الناس مصطلح «التفكير العلمي» ، «الأسلوب العلمي» ، أو «النهج العلمي» ، حتى ارتبطت كلمة العلم بأوجه كثيرة من نشاط الإنسان ، وإيجاد هذه التعبيرات وظلالها تشير إلى العلوم البشرية التي نمت وترعرعت في أوروبا ، وأخذت زحمة واسعة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

نحن نؤمن بأن هذه العلم متواصلة في حياة الإنسان منذ أقدم العصور ، ساهمت فيها كل الشعوب في الأرض خلال تاريخها الطويل المتدر ، ونؤمن أن هذه الدراسات والأبحاث ضرورية للإنسان الذي خلقه الله وجعل في فطرته حب البحث والدراسة في آفاق الكون ، وسخر الله له ما في السموات وما في الأرض ، ليكون في ذلك آيات بيئات على الله الذي لا إله إلا هو . نحترم هذا العلم ونحبه وندعوه إليه ما دام منطلقها إيمان والتوحيد .

ولكننا لا نؤمن أن هذه العلوم وحدها هي التي يجب أن ترسم منهج التفكير ، ولذلك لا نرى أن هذا المصطلح كان وافياً صادقاً في معناه وظلاله ، ونرى كذلك أنه أخذ مدى أكثر من حقه بسبب آثار المرحلة التي قدس الإنسان فيها العلم ، وجعل منه وثنَا يعبده من دون الله . كما جعلت المادية من الإنسان نفسه وثنَا آخر تعبده ، وكما جعل الإنسان أو ثنائياً شتى يعبدوها من دون الله .

نؤمن أن للإسلام منهجاً متميزاً في التفكير ، وللإيمان قواعد متميزة

البحث الإسلامي  
المجلد ٧ - المجلد ٣٩ - ربمئ الثاني ١٤١٥هـ  
في التأمل والتدبر ، ونسمى هذا المنهج : « المنهج الإيماني في التفكير » .  
ليحل هذا المصطلح محل المصطلح السابق ، وليشمل كل حسنات  
المصطلح السابق ، ويلغى سيناته من تقديس العلم وجعله وثناً يعبد من  
دون الله .

ولقد انتشرت في المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث ، كلمة  
« العلانية » ، ودرجت على كثير من الألسنة ، ونادى بها الكثيرون ،  
وظن بعضهم جاهلاً أو متاجهاً أنها لا تتعارض مع الدين .

وكلمة « العلانية » هي ترجمة خاطئة مضللة للكلمة الإنجليزية ذات  
الأصل اللاتيني : (Secularism) ، وهي مثل غيرها من الكلمات التي ترجمت  
إلى العربية تحمل ظللاً محبة للنفوس ، ولكنها في حقيقتها عمل ظالم  
إجرامي . فكلمة الاستعمار لفظة قرآنية غنية بالظلال الإيمانية ، ولكننا  
نستعملها في واقعنا الندل على العدوان الظالم والطفيان ، كلمة « العلانية »  
مأخوذة من العلم ، وكأنها استخدمت بهذا الاشتراك من كلمة « علم » حتى  
تنخفي وراء ظلال العلم وما يحبه الناس من هذه الكلمة لتخفي المعنى  
الظالم السني الذي تدل عليه في الحقيقة .

فكلمة (Secular) تحمل من المعاني : دنيوي ، غير ديني ، متعلق بالدنيا ،  
معزول عن الدين ، ومنها جاءت الكلمة (Secularism) لتعنى رفض الدين ، أو  
عدم المبالاة به . فضل الاعتبارات الدينية وعزلها عن الحياة ، وهذه  
المعاني نجدها مثبتة في جميع قواميس اللغة الإنجليزية ، فالترجمة  
الصحيحة لها هي : « الـادينية » .

و « العلانية » أو « الـادينية » تجعل من العلم البشري المنهج الوحيد  
للتفكير معزولاً كلياً عن أي اعتبارات دينية . سواء في ذلك النظرية إلى  
الحياة والكون والأدب والقانون والاقتصاد والسياسة والحكم والعلاقات

بيان النهج الإيماني في التعبير والتغيير  
البعث الإسلامي  
العائمة وحقوق الفرد والإنسان وغير ذلك ، وعلى هذه النظرة الـادينية  
أقام الغرب والشرق نظمه تحت مسميات مختلفة فيها زخرف وزينة كاذبة .  
وأبقى من الدين أهواه التنصير وحركاته لتعيينه في عدوانه وظلمه .  
ومن أهم أسباب نجاح الاتجاه العلاني في الأرض هو أن المسلمين لم  
يقدموا للعالم عظمة المنهج الإيماني في التفكير والبحث ، والاجتماع  
والأدب ، والاقتصاد والسياسة مع التفصيلات الـازمة للدراسة والتطبيق  
في الواقع .

المنهج الإيماني في التفكير منهج متميز ، ينبع كله من حقيقة التوحيد  
وجوهر الإيمان ، وقوة العلم الحق ، العلم الصادق بمنهاج الله ، والعلم  
الصادق بالواقع البشري . وإنما نلمس خصائص المنهج الإيماني المتميز  
في التفكير في كتاب الله . وفي سنة رسول الله - ﷺ - ، نلمس وضوحاً  
وممارسته في سيرة الرسول الكريم - ﷺ - ، وسيرة أصحابه - رضي الله  
عنهم - .

وقد لا نلمس خصائص هذا المنهج في واقع المسلمين اليوم ، في واقع  
المسلمين اليوم قوى كثيرة معطلة . ملابيح هائلة من المتصفين للإسلام  
في الأرض تعطلت قواهم وسواعدهم ، فتعطل إنتاجهم وعطاؤهم ، فخسر  
المسلون بذلك خسارة هائلة جعلتهم عالة على شعوب الأرض . يتکففون  
 أمام أيدي الناس ، بينما نعم الله تموج حولهم وفوقهم ومن تحتهم ، نعمًا  
 ظاهرة وباطنة .

لو جمعت عدد المسلمين الذين يقتلون أوقاتهم في مراجعاتهم للدروائر  
الرسمية في العالم الإسلامي . وهم ينتظرون ساعات طويلة ، حتى يتلطف  
السيد الموظف فينظر إليهم أو ينظر في معاملاتهم . لو جمعت هذه  
الأعداد وحدها لـهـالـكـ الأمر . فكيف إذا جمعت القوى التي عطلتها

البعث الإسلامي  
سامي النعيم الإيماني في التحرير والتفكير

» وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلأ تبصرون ؟ [سورة الداريات ، الآياتان : ٢٠-٢١].

وذلك :

» إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتذكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلأ سبحانك فقنا عذاب النار » [سورة آل عمران ، الآياتان : ١٩٠-١٩١].

وتتوالى الآيات في كتاب الله تقرع قلب الإنسان ليتفكر ويتدبر : « .. لعلكم تتفكرون .. أفلأ يتفكرون ؟ .. أو لم يتفكروا في أنفسهم .. آيات أخرى يأتي فيها التعبير يحمل ظلال التفكير العملي والتدبر : « أفلأ يتذمرون القرآن أم على قلوب أقفالها » [سورة محمد ، الآية : ٢٤]. « أفلأ يتذمرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » [سورة النساء ، الآية : ٨٢].

ويلح القرآن الكريم على هذه القضية إلحاحاً شديداً لأهميتها وخطورتها في بناء الفرد المؤمن والجماعة والأمة ، حتى يكون التفكير بهذه الأجيال المؤمنة على مدى العصور والأزمان . لا مهمة فرد أو جيل أو عصر .

ولا نستطيع أن نعرض هنا كلّ ما ورد في منهاج الله عن هذه القضية ، مكتفين بما أوردنا من قبسات ، عسى أن يعود المؤمن إلى منهاج الله في صحبته الدائمة له . ليجد الزاد الوفير الغني والآيات البينات والإعجاز الكبير . ونوجز في هذه العجلة أهم ملامح المنهج الإيماني في التفكير وأهم خصائصه :

[يتبّع]

العدد ٧ - المجلد ٣٩ - ربیع الثانی ١٤١٥

البعث الإسلامي  
الشهوات والأهواء المجنونة ، والانحرافات المهلكة ، والإقبال على الدنيا ، والتحاسد فيها والتسابق عليها ، وكراهية الموت ، والجهل ، والظلم والاستبداد والطغيان ، وكيد الغرزة والمعتدين ، لوجمعت ذلك كله لرأيت فاجعة حقاً ، ولادركت أحد أسباب هواننا وذلنا .

وإن من أهم القوى المعطلة في هذه الملايين الهائلة هي قوة التفكير ، لقد تعطل التفكير فيها . وماتت قدراته وذوته مواهبه . ودفنت تحت ركام هائل من الهوان والجهل والضياع .

هذه القوى الكامنة العظيمة في هذه الأمة يجب بعثها ، يجب بعث قوى التفكير فيها على المنهج الإيماني الذي غاب طويلاً عن واقعهم وحياتهم . إن الإسلام لا يشجع التفكير فحسب ، وإنما يأمر به ويربطه بأعظم قاعدة في الإسلام ، قاعدة الإيمان والتوحيد . ويكاند يحصر القرآن الكريم دعوة الأنبياء . ودعوة محمد - ﷺ - بقضية واحدة هي التفكير : « قل إنما أعلمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » [سورة سباء ، الآية : ٤٦].

ويأمر الله عباده المؤمنين أن يتفكروا ويتذمروا ويتأملوا على صورة نوافذ ممتدة ابتداء من الذات والنفس ، والعمل والسعى ، والسماءات والأرض وما بينهما . واختلاف الليل والنهار ، والسحب والرياح والأمطار ، والجبال والأنهار ، ومصاير الشعوب والأقوام ، وسنن الله في الحياة ، والولادة والموت ، وواقع الإنسان وحاضره ، وماضيه ومستقبله ، امتداداً من الحياة الدنيا إلى الآخرة ، في جولة رائعة للفكر المؤمن المتذمر . جولة يقطع منها المؤمن قدر وسعه وطاقته مما وهبه الله وما سيحاسبه عليه ، وقدر مسؤوليته وأمانته :

## علم القراءة في العصور المتوسطة في الهند

بقلم : الدكتور ظفر الإسلام الإصلاحي

سكرتير إدارة علوم القرآن . عليجراء

مراجعة : الشيخ عبد الرحمن الملي الندوبي - رئيس تحرير مجلة « النور » بجامعة أكيل كوا

إن القرآن الكريم أنزله الله سبحانه لهداية الإنسان وصلاحه .  
ويتضمن الحقائق الأبدية . وكثيراً من العلوم الفنون . ولاشك أن التدبر  
في معانيه ، والتفكير في حقائقه ، والتتفكر في حفظه ، يفتح أمام  
الإنسان أبواباً لهداية البشرية .

ولتتدبر في معاني القرآن الكريم وحقائقه الكونية والنفسية شروط  
وآداب . كما أن لتلاؤته قواعد وآداباً ، لابد للقارئ أن يلتزم بها عند  
تلاوة القرآن الكريم ، ويسعى بفن التجويد والقراءة ، ويسعى كذلك  
« بزينة القرآن » ولكي يمكن الاستفادة مما يشتمل عليه القرآن من الخير  
والبركة ، أنشئت علوم وفنون كثيرة فانتشرت وارتقت بفضل القرآن  
وعلومه ، وكان سبباً كبيراً للتوصيف نطاق العلوم والفنون الأخرى .

أما علم التجويد والقراءة فيحول مكانة أساسية وينفرد بميزات كثيرة  
من بين هذه العلوم المختلفة ، لأن علم التجويد والقراءة من العلوم التي  
اهتمام بها الرسول الكريم - ﷺ - وأصحابه من الخلفاء الراشدين ، فقال

النبي الكريم - ﷺ - : « من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه  
بقراءة ابن أم عبد » [مسند أحمد بن حنبل - المجلد الأول ، ص / ٤٥٤].

ولأهمية هذا العلم قد اهتم العلامة كثيراً بتأليف الكتب المنوعة فيه .

وقد اختلفت الروايات في القراءات ، وإن أبو عبد قاسم بن سلام جمع  
القراءات المختلفة ، ورتبها في صورة الكتاب ، وقدم إلى الناس واعتبره

بعض المؤرخين أول مؤلف في هذا الفن ، ولكن الواقع أن الكتاب الذي قام  
بتأليفه أبو عبيد قاسم بن سلام ليس كتاب تجويد بل هو كتاب اختلاف  
القراءات في التجويد .

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير مع اختلاف آرائهم أن هناك عدة  
أسماء أدت دوراً ملحوظاً تدوين علم التجويد والقراءة ، نذكر بعضها على  
سبيل المثال :

١- الإمام الشيخ أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي ، المتوفى  
سنة ١٨٩ هـ .

٢- الإمام يحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٨٩ هـ . ٣- الإمام أبان بن تغلب .

٤- الإمام مقاتل بن سليمان - المتوفى سنة ١٥٠ هـ .

٥- الإمام أبو عمرو بن العلاء - المتوفى سنة ١٥٥ هـ .

٦- الإمام هارون بن موسى - المتوفى سنة ١٧٠ هـ .

٧- الإمام أبو عبيد قاسم بن سلام - المتوفى سنة ٢٢٤ هـ .

٨- الإمام أبو عمر حفص بن عمر الدوري - المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

٩- الإمام موسى بن عبيد الله الخاقاني - المتوفى سنة ٢٢٥ هـ .

هناك كثير من الأئمة الذين برعوا وتضلعوا في هذا الفن ، وكان لهم  
النصيب الأوفر في علم التجويد . وما ذكرنا منهم إلا قليلاً تجنباً من  
التطويل .

ولقد ثبت تاريخياً أن عمل التأليف في فن التجويد قد بدأ في أواخر  
القرن الأول الهجري ، ورغم اختلاف الآراء في تحديد أول كتاب في هذا

الفن ، اتفق المؤرخون على اسمين بارزين في علم التجويد :

أولهما : الشيخ أبو القاسم الشاطبي - المتوفى سنة ١١٩٤ هـ ، والثاني :  
الإمام محمد بن محمد الجزري - المتوفى سنة ١٤٢٩ هـ ، فإنها بذلك

جهودهما التأليفية لتطوير هذا الفن ونشره في الآفاق .  
ولا يقل دور الشيخ المكي بن أبي طالب - المتوفى سنة ٤٢٧هـ -  
وأن عاصمة « دلهي » عرفت بخدماتها نحو هذا الفن في كل دار من أدوار  
التجويد ، ومن تلك الكتب المشهورة كتاب « معانی القراءات » و « الرعاية  
لتجويد القراءة » .

ولاشك أن علم القراءة والتجويد له ميزته ومكانته بين علوم القرآن ،  
 وأن عاصمة « دلهي » عرفت بخدماتها نحو هذا الفن في كل دار من أدوار  
تاریخ الملوك المسلمين ، وكانت خدمة القرآن ضمن دستور كل دولة مسلمة ،  
وكذلك الهند بل إنها أولت اهتماماً بالغاً بتصحیح الخارج وتحسين  
الصوت ، والدليل على ذلك أن معلی القرآن في المکاتب الصباحية  
والمسائية ، وفي الدارس الإسلامية بالهند ، كانوا أساتذة الفن في  
التجويد والقراءة ، وكانوا يسمون بـ « مقرئ » وكذلك لهم مصطلح آخر  
باسم « قرآن خوان » أي قارئ القرآن ، وهذا للذين كانوا يحسنون  
القراءة ويجيدونها ، وكذلك لقب كثیر من كانوا يجيدون قراءة القرآن ،  
بـ « قرآن خوان » يعني قارئ القرآن ، منهم السلطان قطب الدين أیبک  
سنة ١٢٠٦ - ١٢١٠م ، كما لقب به الملك فيروز شاه الذي أمر بتألیف  
كتاب سمي بـ « فتاوى قراءة القرآن » وكذلك هناك مصطلح آخر لجيد  
القراءة ، وكان يدعى بـ « خوش خوان » يعني من يحسن القراءة ، وعرف  
بهذا اللقب الشیخ محمد قاسم الذي كان من أقرباء الشیخ نظام الدين  
الشهير بن نظام الدين أولیاء ، وهذا يدل على أن سلاطین عاصمة « دلهی »  
كانوا يهتمون اهتماماً بالغاً بالتجوید والقراءة ، بل كانوا يشجعون  
العلماء لاسیما القراء ، بتوزیع الجوائز عليهم .  
وقد عرف ملوك الهند باعتنائهم بعلم التجوید والقراءة حتى إنهم

كانوا يتلون القرآن بصوت حسن . ولحن جاذب ، ورغم هذا الاهتمام  
يختلجم هنا سؤال عن المقرر الدراسي والنهج التعليمي في ذلك العصر .  
فقد نجد خالياً عن فن التجوید ، والذين ذكروه لم يتناولوه كفن له  
خطورة وأهمية ، فما هو السبب ؟

ذهب المؤرخون مذاهب في الرد على هذا السؤال . قال بعضهم : إن  
المقرر الدراسي والنهج التعليمي . إنما كان يدور حول التعليم العالي  
والدراسات العليا ، وكان فن التجوید ضمن المقرر الدراسي في المرحلة  
الابتدائية ، ولذلك نجد المقرر الدراسي القديم خالياً عنه .

وقال آخرون : إن المراكز التعليمية ما كانت في هذا الشكل الذي نراه  
عليه اليوم ولكن كان نبغاء العلوم والفنون يعقدون مجالسهم التعليمية  
التي كان يؤمنها عطشى هذه العلوم والفنون وينضمون إليها ، ويروون  
غليهم العلمي ب المجالس العلمية والتربوية . ولذلك لا نجد لثل هذ  
النظام المنفرد منهجاً تعليمياً مرتباً ، ولا يعني ذلك أن علم التجوید  
والقراءة لم يدرس في ذلك العصر .

وعلى الأقل نجد تدریس هذا الفن وإلقائه على الطلاب في مدرسة  
« فيروز شاهي » في عهد الملك (فيروز شاه) والشيخ جلال الدين الرومي ،  
الذي كان رئيساً وعميداً لهذه المدرسة الملكية رغم أنه كان عميداً لمدرسة  
فيروز شاه ، فكيف يسوغ لنا أن نقول : إن هذا الفن ما كان يدرس في  
ذلك العصر ، كما ذهب إليه بعض الجهلة من الناقدين .

فالحق أن فن التجوید والقراءة كان شائعاً في دور السلاطین المسلمين ،  
وكان المتقنون له يبذلون قصارى مجہوداتهم لنشره ، ولو في إطار  
محدود وفي داخل المدارس أو المجالس وفي زوايا المساجد . وكان في  
أوائل العهد الإسلامي في الهند غير قليل من قراء السبع . في أمكنة غير

معروفة ، كما يدلنا التاريخ على أن الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني سنة ١٢٦٢م تعلم التجويد والقراءات السبع في قرية غير مشتهرة ، قرية «كوت أوروبي» . وأهم من ذلك أن الشيخ نظام الدين أولياء ، تعلم القرآن على رجل

حدث العهد بالإسلام كان عالما بالقراءات السبع . وجدير بالذكر أن العلماء الربانيين أيضا كانوا يهتمون اهتماما كبيراً بتعليم علم التجويد والقراءة ، ويعقدون المحافل في زواياهم لتدريس هذا الفن بطرق مختلفة ، وأهم معلميهم الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني ، والشيخ حميد الدين ناغوري ، وكذلك يدلنا التاريخ على أن الشيخ فريد الدين شكرنجي ، كان يعلم القرآن لأصحابه ، ويدرسهم قواعد القراءة وأدابها .

وكما قال الشيخ نظام الدين أولياء : إن زاوية مرشدہ كانت عامرة بالحفظ ، وكان كبير الاهتمام بعلم التجويد ، وسلك الشيخ نظام الدين مسلكه ، فاهتم بتدريس هذا الفن في زاويته ، وعيّن الشيخ علاء الدين اندیني ، أن يعلم التجويد والقراءة لأولئك الطلاب الذين كانوا يحفظون القرآن تحت رعايته ، ويشير بعض المصادر أن سلطان المشايخ الشيخ نظام الدين أولياء سنّ لأصحابه أن لا يأكلوا الطعام إلا بعد ما يتلو القرآن شيئاً من القرآن ، فالحضور كانوا يتمتعون بنعمتين ، نعمة القرآن ونعمة الطعام ، وأكثر ما يكون القاريء من أتباعه الذين تربوا تحت رعاية الشيخ نظام الدين تربية سلوكية ، وهذه القراءة الوجيزة كانت تعرف باسم «دعاء المائدة» وما يجدر بالذكر أن المشايخ والوعاظ في الهند يفتتحون خطبهم ومواعظهم بتلاوة بعض الآيات القرآنية ، ويختارون منها موضوعاً لحديثهم ، وما هي إلا سنة أسلافهم التي تنتمي إلى ذلك العصر .

## دراسات وأبحاث :

### هل يمكن أن نقود العالم من جديد؟

الأستاذ عبد الوهاب عبد العزيز سالم  
طنطا - جمهورية مصر

= لم تكن الأمة العربية قبل الإسلام أمّة حضارية ذات تفوق مزدهر كما قد يظن البعض : إذ لم يسجل التاريخ للعرب أي اختراع عظيم ينفع البشرية . ولا حتى برعوا في البناء المعماري أو في صناعة الأساطيل البحرية على سبيل المثال ، بل إن غاية رقيهم كانت في الشعر والفصاحة ومعرفة الأنساب . إضافة إلى رحلتين كل عام للتجارة - إلى الشام صيفاً وإلى اليمن شتاء ، وربما اشتهر بعضهم بالكرم والمرودة ، وأما ما عدا ذلك من عموم جوانب التقدم فكان شيئاً لا يذكر ، باستثناء بعض الخدمات للحجيج كل موسم ، من أجل أن يحظوا على الناس بالسمعة أو السيادة . = أما عناصر التأثر فقد كانت أبرزت كثيراً من سمات الامتياز : فكان الشرك وعبادة الأصنام وانتشار الخمر والميسر والزنا والثار والربا والتسلط على الضعفاء . صوراً من صور الجاهلية التي وصمتهم قبل الإسلام .

= فلما دخلوا في دين الله أفواجاً بعد بعثة النبي الكريم - ﷺ - فيهم دعوته إليهم وصبره عليهم ، تغير حالهم إلى ما هو خير : وصارت أمتهم الجديدة قائدة الأمم جميعاً . برصيد روحي هائل . واستقرار اجتماعي هادئ . ورقى ثقافي تربوي رائع . وتفوق تخطيطي بارع . وتقدم اقتصادي زاهر . وتميز عسكري ظافر .

= وحيث إن دوام الحال من الحال ، وال Herb سجال ، فإن النكبات قد حلّت تباعاً بهذه الأمة عندما فارقت كتاب ربها : وخالفت سنة نبيها . فأطاعت

العدد ٧ - المجلد ٣٩ - ربیع الثانی ١٤١٥  
البعث الإسلامي  
عدوها . واتبعت أهواها ، ولم تقارن ما كانت عليه قبل الإسلام بما  
صارت فيه بعده ، فإذا بها تهوي إلى دركات الهزيمة ، وتتوغل ثم تغرق في  
مستنقعات التخلف قروناً .

= ثم أفاء الله عليها بصحوة إسلامية شاملة ، عممت أرجاءها وأعادتها إلى  
عقلها ، وغيرت طبائع رجالها ونسائها وأطفالها ، فإذا بها تبدأ في  
انتعاش جديد ، وتشريع في رفع هامتها من أديم الأرض متطلعة إلى رحاب  
السماء ، عليها تعيد مجدها السليب .

= وحيث أن لكل فعل رد فعل ، فإن التحديات التي هاجت لواجهتها على  
كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية وغيرها ، قد  
جعلتها في موقف لا يقبل التخاذل والانسحاب من جديد : إيثاراً لجانب  
الأمن والسلامة ، لأنه لن يكون أمناً ولا سلاماً ، بل ذلاً وذبحاً وإماتة ،  
فلا بد أن تقبل التحدى في هذا العالم الذي لم يعد يحترم الضعفاء .

= ومن هنا بدأت بعض الدول الإسلامية فعلاً تسعى إلى إيجاد موقع لها  
وسط دول العالم الصناعية المتقدمة ، وتکاد الآن بعض دول وسط وجنوب  
شرق آسيا المسلمة مع قلة من الدول العربية ، تعد دولاً متقدمة .

= وقد وصلت بفضل الله تعالى بعض القيادات الإسلامية النشطة إلى  
موقع التأثير في بلادها ، فبدأ الطلاب المهددون ، والمهندسوں الموحدون ،  
والأطباء المتقوں ، والزراعيون المجتهدون ، والحقوقيون الشرعيون ،  
والسياسيون الوعاظون ، والعلمون المؤمنون ، وغيرهم من فئات الشعوب  
المجاهدة ، يرسمون الأساليب العصرية لإبراز أوطنائهم إلى حيز الوجود ،  
بين قائمة من يسمون أنفسهم بدول الشمال الصناعية العظمى أو أقطاب  
التأثير في النظام العالمي الجديد ، وهذا يبشرنا بمستقبل طيب بإذن الله  
تعالى .

البعث الإسلامي  
هل يمكن أن نقود العالم من حيث ١٤١٥  
= ولكي يكتمل النمو الحقيقى المعاصر لهذه الدول الإسلامية ، لابد لها أن  
تحدو وتعاون ، لأن الاتحاد قوة والفرقة هوة ، والمرء قليل بنفسه كثير  
يأخوه .

= إن السوق الإسلامية المشتركة أمل قديم يجب أن يتحقق ، حتى يتحقق  
معه الرخاء العام والازدهار التام ، فلسنا بأقل من أهل السوق الأوربية  
المشاركة ، إن لم نكن أكثر وأوفر وأكبر ، كما أنشأ لسنا بحاجة إلى  
إدخال عناصر شاذة لاهي منا ولا نحن منها ، ولا هي ترغب لنا الخير .

= فيما يسمى بسوق الشرق الوسطى المقترنة ، فلو أن الهيئات الإسلامية  
ومؤسساتها الاقتصادية في آسيا وإفريقيا وأوروبا وإستراليا  
والأمريكتين ، تبادلت خبراتها ومنتجاتها فيما بينها ، لهزمت أركان  
الدنيا ، وأبرزت عالماً جديداً من عوالم التقدم المادي الذي لا يعرف الغش  
والربا والانتهازية ، بل إن مجرد عدة دول إسلامية قوية لو تكافلت  
وتکاملت في اقتصادياتها بعضها مع بعض ، لارتعدت فرائص كل ما  
يسمي بالقوى العظمى ، ولهما أن تخطب ودها ، وتحسن معاملاتها  
معها .

= وبما «أن الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أولى الناس بها» لذا  
بنبغي على الدول الإسلامية الناهضة أن تلجم إلى مزيد من الإخلاص في  
العمل ، بدلاً من رنين الطبل ورغاء القول ، فإن كلاً من ألمانيا واليابان ،  
قد هزمتا في الحرب العالمية السابقة هزيمة منكرة ، ثم بدأت كل منهما  
تعمل في صمت ، وتدرس أخطاءها محاولة تحاشيها ، حتى أعادتا البناء  
على علم سليم وأساس متين ، فخرجا من القمّق باقتصاد هائل وصناعة  
متقدمة ، مما وضعهما من جديد في موقع أعلى مما كانتا فيه ، ولسنا بأقل  
منهما ، بل إن عندنا خيرات فوق الأرض وكثيرة تحت الأرض ، ولكن

العدد ٧ - البلح ٣٩ - ربیم الثاني ١٤١٥  
غثائية السیل كانت تحبط تقدمنا، وكراهية الموت تعوق انتلاقنا،  
وضجيج الإعلام يفسد خططنا ، فيحرمنا ذلك من سيادة أنفسنا فضلاً  
عن قيادة غيرنا .

## « الاستشراق والفقه الإسلامي »

(الحلقة الأولى)

بقلم : أ. د. محمد الدسوقي  
أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول كلية الشريعة - جامعة قطر

يعد الاستشراق ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإنساني . فلم يعهد أن طوائف متباعدة العقائد والثقافات والجنسيات أطبقت كلتها على دراسة دين لا تؤمن به كما فعل المستشرقون .

كذلك لم يعرف أن مثل هذه الطوائف قد التقت حول هدف واحد تسعى إليه بكل ما لديها من طاقات وقدرات ، فالمستشرقون وإن باعدت بينهم الأوطان ، واختلفوا عقيدة ولسانا كانوا - بوجه عام - وما يزالون يعلمون وفق منهج علمي مدروس لغاية واحدة .

إن الإسلام الذي انتشر في فترة زمنية وجيزة بين شعوب وأقطار كثيرة أثار دهشة أهل أوربا ، وحملهم على أن يقفوا على مناطق قوة المسلمين . وعوامل مجدهم وأسباب وصولهم إلى مراكز القيادة في العالم الذي كان معروفا حين ذاك (١) .

وكان من مظاهر رغبة الأوربيين في معرفة مناطق قوة المسلمين هجرة شباب أوروبا للطلب العلم في مراكز الثقافة الإسلامية وبخاصة في الأندلس ، وإقامة صلات المودة بين بعض الحكام كما حدث بين الرشيد وشارلمان ،

(١) التشريع الإسلامي وأثره في التشريع الغربي للدكتور محمد يوسف موسى : ص ١٠٧ - القاهرة .

= إن الصحوة الإسلامية المباركة ، التي لم تعد خافية على أحد . هي إرهاص المجد الذي طالما اشتقتنا إلى عودته . فهل نحسن تلقّيها والتعامل معها ، حتى نستفيد بخيرها تمام الفائدة ؟ ! فلعلها سبيلنا إلى حمل اللواء من جديد ، لنقود العالم إلى علم مع إيمان ، ورقى مع إحسان ، ورخاء في أمان ، فلقد خسر العالم كثيراً من قبل بانحطاط المسلمين !؟ = وحكام المسلمين الآن بأيديهم أن يمسكوا بالزمام ، ويرفعوا الأعلام ، ويقودوا مسيرة السلام . شريطة أن يعطوا هذا السلام لأبنائهم قبل أن يقدموه لأعدائهم . فلو فتح حكام المسلمين جميعاً لشعوبهم أبواب الحرية في التفكير والتعبير ، لانطلقت من كيان الأمة طاقات خير هائلة : طالما ظلت حبيسة الأدراج أو الأدراج ، أو الأبدان والأذهان . أو ربما في ظلمات السجون . فإذا ما بدأ المسلمون الإنتاج والبناء ، أثمرت الأرض وأمطرت السماء ؛ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقووا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ؛ ولا بد أن نستعين على حوانجنا بالكتمان ، فنعيد التعمير والإصلاح ، في هدوء وروية . حتى تنطلق الأمة بعد اكتمال نموها كالمارد العلّاق ، فيما أن يهادنه أعداؤه ويسالموه . فيسلم الجميع . وإنما أن يتآثروا بعناصر القوة الكافية فيه فيدخلوا في دينه آمنين ، وينضووا تحت لوائه موحدين . وإنما أن يغالبوه فيغلبهم فيفروا أمامه مذعورين : « ويومئذ يفرح المؤمنون » . بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . وهم عن الآخرة هم غافلون .

وإنشاء المدارس في أوربا على غرار ما كان في البلاد العربية ، واستقدام الأساتذة والعلماء العرب للتدريس فيها مع الأساتذة الأوروبيين الذين أتموا دراستهم في المدارس الإسلامية ، ثم نقل التراث العلمي الإسلامي إلى اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلم في أوربا في ذلك الوقت وقد بدأت حركة الترجمة (١) في القرن التاسع عشر الميلادي ، ونمت بعد ذلك ولا سيما بعد سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، فقد أنشأ رئيس أساقفتها ديواناً للترجمة كان يضم بعض العرب الذين تعلموا اللاتينية ، وقام هذا الديوان بنقل التراث العربي برمته من فلسفة وأدب وفلك وطب وهندسة .. إلى هذه اللغة .

لقد تبللت أوربا في تلك المرحلة على أيدي العرب ، كانت تتعلم لغتهم وتترجم علومهم ، وتنشئ المدارس على غرار مدارسهم ، ومن ثم لم يكن للعلماء الأوروبيين في تلك الحقبة انتاج علمي خاص ، لاعتمادهم اعتماداً كلياً على التراث العربي ، وكل ما ظهر من مؤلفات لاتينية لا تعدو أن تكون ترجمة لمؤلفات إسلامية أو نقلأً عنها (٢) .

ولكن أوربا معأخذها عن المسلمين ، وعلى الرغم من شدة حاجتها إلى ما أخذت كانت تشعر بشعور العادة والبغضاء تجاه من يأخذون عنهم ، وكان ذلك بسبب الانتصارات الحربية التي حققها المسلمون منذ معركة

(١) انظر فلسفة الاستشراق للدكتور أحمد سمایلوفتش : ص ٢٩ / ط. دار المعارف .

(٢) انظر تاريخ العلوم عند العرب ، للدكتور فؤاد سزكين : ص ٢٢ / - الرياض .

مؤةة (٨٦هـ) إلى معركة بلاط الشهداء (١١٤هـ) (١) .

لقد كان النصر العسكري الذي أحرزه المسلمون تتراهى صوره في خيلة الأوروبيين فتزدوج خواطيرهم ، وتبعث في نفوسهم روح التوجس والخوف من أن تفاجئهم الجيوش الإسلامية ، وتغزوهم في عقر دارهم ، وأذكى هذا الشعور بالمعاداة والقلق موقف الكنيسة من ظاهرة انتشار الإسلام ، وهيمنة الفكر العربي على أهل أوربا ، فقد كانت بلا مراء ترى في هذا الانتشار السريع تقليضاً لنفوذها ، وترى في إقبال أهل أوربا على دراسة العلوم العربية تقوياً لسلطانها ، إنها كانت تقود الحياة في مختلف مجالاتها من منظور الفكر الكنسي ، وهو فكر يناهض النظر العقلي ، والتحرر الفكري ، لأن هذا يكشف عن تناقض ما كانت تتبناه الكنيسة من آراء ومبادئ ، وهي حرية أبلغ الحررص على أن يظل ما تؤمن به وتدعوا إليه هو الفكر السائد والقائد ، ومن ثم حاولت منع الأوروبيين وبخاصة الشباب من الهجرة إلى مراكز العلم والثقافة في الأندلس وغيرها ، حتى لا يؤمن هؤلاء أو يتأثروا بما جاء به الإسلام من

(١) كانت غزوة مؤةة أول لقاء بين المسلمين والروم ، وكان عدد المسلمين نحو ثلاثة آلاف على حين كان عدد الروم ومن كان معهم من العرب نحو مائتي ألف ، وقد قتل الثلاثة أصحاب اللواء على التعاقب ، ثم تولى خالد بن الوليد القيادة ، وانسحب من المعركة بطريقة عسكرية باهرة ، أما بلاط الشهداء فهو اسم أطلق في التوارييخ العربية على المعركة التي تعرف باسم : « تور أو بواتيه » وفيها هزم شارل مارتل الأمير عبد الرحمن الغافقي ، وتضخم المصادر الغربية من هذه المعركة ، وتعدها انتصاراً ساحقاً على المسلمين ، وهي في الواقع ليست معركة ، فال المسلمين كانوا كسرية اشتربت مع العدو ، ولم يكونوا جيشاً معداً للفتح .

قيم تنهض على الحرية الدينية والعقلية . كما تنهض على المساواة بين الناس جميعاً . وأنهم أمام خالقهم سواء ، وأن أحداً - ولو كاننبياً مرسلاً - لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً ، وأن الله فرد صمد لم يلد ولم يولد - فينقلبوا عليها ، وينبذوا ما تفرضه من مفاهيم . فتضييع هيبتها أو يضعف سلطانها .

ولم تنجح محاولات الكنيسة في وقف تيار الرحلة للاغتراف من منابع الثقافة الإسلامية فأقدمت على اتخاذ خطوة أخرى أكثر فاعلية في وقف هذا التيار ، أو تحويل غايته . حيث أوفدت إلى بعض الحواضر الإسلامية عدداً من القساوسة والرهبان لدراسة الإسلام ولغته وعلومه . رائدتهم في هذه الدراسة تمس الشبهات ، ليقوموا بعد عودتهم إلى بلادهم بتأليف الكتب المشحونة بالأحقاد ، واختلاق المثالب ، وإثارة الحفائظ ضد المسلمين . وكذلك قامت الكنيسة بإنشاء المدارس العربية في روما وغيرها بقصد إعداد أجيال من المتخصصين في العلوم الإسلامية على نحو يوهمهم لنشر كل ما يسيء إلى العرب ودينتهم ، فتفتر الرغبة في الرحلة إليهم والتلقى عنهم .

وكان أولئك الذين أوفدوا إلى ديار الإسلام ، وهؤلاء الذين تعلموا في المدارس العربية الأوربية هم الطلائع الأولى للاستشراق . واتسمت مؤلفاتهم عن الإسلام بالجهل المتعدد به . والخلط الغريب بينه وبين غيره من الأديان . فمحمد في نظر هؤلاء ساحر هدم الكنيسة في إفريقيا وفي الشرق الأوسط عن طريق السحر والخداعة . والمسلمون يعبدون ثلاثين إليها . والقرآن يمزج على غير نظام بين تعاليم العهددين القديم

والجديد ، أو بين التوراة والإنجيل (١) .. إلخ مثل هذه الأفكار والأراء الفاسدة المستمدّة من الأوهام ، ولا صلة لها بمصدر علمي . أوأمانة موضوعية .

ولم تبلغ الكنيسة غايتها على ما بذلت من جهد وأنفقت من أموال . وظلّ تيار الفكر الإسلامي قوى التأثير والتغلغل في عقول ومشاعر الأوربيين ، فهم ما زالوا يدرسوه ويترجمون آثاره . بل تضاعف نشاطهم في هذا . فاتجهت الكنيسة نحو إثارة العامة ضد المسلمين ، وشدّ أزرها في ذلك بعض النبلاء والحكام الطامعين في كنوز الشرق وخيراته . وأتاح التمّزق الذي شهدته العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري . وظهور بعض الدوليات المستقلة عن الخلافة في بغداد للكنيسة فرصة تحويل تلك الإثارة إلى حملات عسكرية تعبر البحر المتوسط لهاجمة المسلمين في الشمال الأفريقي أولاً ، ثم في الشام تحت ستار جماعة الصليب وإنقاذ القبر المقدس من أيدي البرابرة التوحشين ، أي المسلمين ، كما كانت تعبّر عنهم الكنيسة .

وفشلت الحملات الصليبية في تحقيق الحلم الذي راود دعاتها ، بيد أنها نقلت إلى أوربا الحضارة التي جاءت لتحاربها ، لقد عاد الصليبيون إلى ديارهم - بعد أن عاثوا في ديار الشام نحو مائتي عام - وفي جعبتهم زاد خلقي وفكري وحضارى لم يكن لبلادهم عهد من قبل .

وكانت نهاية الحملات الصليبية بداية لمرحلة جديدة في تاريخ

(١) انظر ، نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور على نهري خشيم ، والدكتور صلاح الدين حسن : ص ٢٠٢ - طرابلس الغرب .

ميدان الاستشراق . ونظم المستشرقون جهودهم عن طريق المؤتمرات الدولية والإقليمية وتبادل الزيارات وإصدار الدوريات وإنشاء الجمعيات التي اشتد التنافس (١) بينها ، لتحقيق الآمال الغربية في الهيمنة على الشرق ، ونهب ثرواته ، والحلولة دون تقدم شعوبه . ومن ثم أصبح الفكر الاستشرافي في خدمة السياسة الاستعمارية والصهيونية بوجه عام .

لقد غزا الاستشراق العالم الإسلامي في هذه المرحلة غزواً معنوياً مدمراً ، غزواً كان أفدح خطراً وضرراً من الغزو العسكري . فقد كان للفكر الاستشرافي التوجيه في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية ، حتى غدت الشخصية الإسلامية غريبة عن دينها ، ويقاد انتماؤها إليه أن يكون اسمياً أو شكلياً .

وبعد الحرب العالمية الثانية يسلك الاستشراق منهاجاً جديداً لا يختلف في الغاية ، وإنما يختلف في الوسيلة . إنه يحاول أن يظهر في صورة غير التي كان عليها من قبل ، صورة تدعى الهجوم الصريح أو الأسلوب الذي كان يثير غضب المسلمين إلى أسلوب يقدم السم في الدسم (٢) فهو مثلاً يثنى أحياناً على الإسلام ونبيه ، وأن هذا الدين أنقذ العرب من وثنية الجاهلية . وأن محمدًا أخرج قومه من حياة الفرقـة والضعف إلى حـياة الـوحدة والـقوـة . وفي نفس الوقت لا يـكـفـ عن التـأـكـيدـ - تصـريـحاـ أو تـلـيـحاـ - على أن محمدًا مـزـجـ علىـ غيرـ نظامـ بينـ التـورـاةـ والإـنجـيلـ

(١) انظر فلسفة الاستشراق : ص ٨٢ .

(٢) انظر صور استشرافية ، للدكتور عبد الجليل شلبي : ص ٢٠ . ط. مجمع البحوث بالأزهر .

الميدان الإسلامي ، فقد أيقن الغرب بعد هذه الحملات أن الشرق يتتفوق عليه في كل شيء . وأن الإسلام هو مصدر الخطر على مطامعه ، وأن قوة هذا الدين لا يمكن تحطيمها بالسلاح . وأنه لابد من اللجوء إلى سبيل غير سـبيلـ الحرب لـقاـومةـ فـاعـلـيةـ إـلـاسـلامـ فيـ نـفـوـسـ الـمـؤـمـنـيـنـ بـهـ . وكـذـلـكـ تشـويـهـ صـورـتـهـ لـدـىـ غـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ . حتىـ لاـ يـفـكـرـواـ فـيـ اـعـتـنـاقـهـ أـوـ الدـخـولـ فـيـ . ولـهـذاـ اـتـسـعـتـ دـائـرـةـ الـاستـشـراقـ . فـدـخـلـتـ كـلـ دـوـلـ أـوـ رـبـاـ مـيـدانـ الـدـرـاسـاتـ الشـرـقـيـةـ ، وـتـضـاعـفـ الـاهـتمـامـ بـالـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ . وـقـوـيـتـ حـرـكـةـ نـقـلـ التـرـاثـ الـإـسـلامـيـ إـلـىـ أـوـرـباـ . وـتـرـجـمـ كـثـيرـ مـنـهـ إـلـىـ الـلـاتـيـنـيـةـ وـغـيرـهـ مـنـ الـلـغـاتـ الـأـوـرـبـيـةـ . وـمـاـ كـانـ سـعـيـ الـأـوـرـبـيـيـنـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ ذـلـكـ التـرـاثـ لـلـبـحـثـ عـنـ الـصـورـةـ الصـحـيـحةـ لـلـإـسـلامـ . وـإـنـماـ لـلـانتـفـاعـ بـمـاـ حـقـقـ الـمـسـلـمـوـنـ فـيـ مـيـالـدـ الـعـلـوـمـ الـمـخـلـفـةـ . وـأـيـضاـ لـتـلـمـسـ الشـبـهـاتـ وـالـأـبـاطـيلـ الـتـيـ تـقـدـمـ إـلـاسـلامـ وـالـمـسـلـمـيـنـ فـيـ صـورـةـ مـنـفـرـةـ كـرـيـهـةـ .

وـظـهـرـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ التـبـشـيرـ إـلـىـ جـانـبـ الـاستـشـراقـ . فـالـكـنـيـسـةـ بـعـدـ أـنـ نـجـحـتـ فـيـ الـعـلـمـ عـلـىـ انـحـسـارـ الـمـدـ إـلـاسـلامـ فـيـ شـبـهـ جـزـيرـةـ أـسـبـانـيـاـ أـزـعـجـهـ الـمـدـ إـلـاسـلامـ الـجـدـيدـ فـيـ شـرـقـ أـوـرـباـ عـلـىـ أـيـدـىـ الـأـتـرـاكـ . فـاـكـثـرـتـ مـنـ إـقـامـ الـمـادـرـسـ وـالـمـعـاـدـنـ الـتـيـ تـدـرـسـ الـعـرـبـيـةـ وـالـعـقـيـدـةـ إـلـاسـلامـيـةـ لـإـعـدـادـ مـبـشـرـيـنـ يـعـلـمـونـ عـلـىـ تـنـصـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ . أـوـ تـشـكـيـكـهـمـ فـيـمـاـ هـمـ بـهـ يـؤـمـنـونـ . وـكـانـ بـعـضـ الـمـسـتـشـرـقـيـنـ يـرـحـلـ إـلـىـ الـبـلـادـ إـلـاسـلامـيـةـ لـجـمـعـ الـمـخـطـوـطـاتـ مـنـ جـهـةـ ، وـلـلـتـبـشـيرـ بـالـسـيـحـيـةـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ اـقـامـ فـيـ بـلـادـنـ عـدـةـ أـعـوـامـ لـتـلـكـ الـمـهـمـةـ الـمـزـدـوـجـةـ أـوـ الـمـتـكـالـمـةـ .

وـمـنـذـ نـحوـ قـرنـيـنـ بـدـأـ الـاستـشـراقـ مـرـحلـتـهـ الـثـالـثـةـ فـيـ تـارـيـخـهـ . وـهـيـ تـعدـ أـخـطـرـ مـرـاحـلـهـ . إـذـ دـخـلـتـ أـمـرـيـكاـ وـدـوـلـ الـشـرـقـ الـتـيـ لـاـ تـدـيـنـ بـالـإـسـلامـ

حاول أن يربط بين هذا الفقه وتشريعات الأمم التي آمنت بالإسلام وبخاصة ما كان منها تحت حكم الدولة الرومانية الشرقية.

إن الفكر الاستشرافي يكاد يجمع على تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني أو التلمود اليهودي، وإن كان هناك اختلاف في مقدار هذا التأثر، فالبعض يذهب إلى أن المسلمين نقلوا القواعد العامة ومنهج التدوين وبعض المصطلحات من القانون الروماني أو التلمود، والبعض الآخر من المستشرقين يذهب إلى أن الفقهاء المسلمين تأثروا بهذا التلمود وذلك القانون في طرف مما كتبوا.

وتتجدر الإشارة إلى أن المستشرقين في بعض ما صدر منهم حول هذا الموضوع يخلطون بين الشريعة (١) والفقه، كما أن مفهوم التأثر لديهم لا يعني ما قد يكون بين الحضارات من احتكاك وتفاعل لا يتجاوز الجزئيات إلى الكليات، فما ينكر أحد أن الفكر الإسلامي لا يسلم من التأثر على نحو ما بما يشيع في البيئة من مفاهيم ونظم، وأن هذا اللون من التأثر مظهر من مظاهر الفطرة في انفعالها بما يحيط بها، وأنه من ثم يثير الذاتية أو الاصالة ولا يقضى عليها، ولكن التأثر الذي يراه الاستشراق في حدوثه عن الفقه الإسلامي هو التأثر الذي يعني التبعية، وهذا الفقه على حد قول بعض المستشرقين هو قانون جوستنيان في

الاستشراف في كل مراحله قد كتبآلاف الدراسات والأبحاث على أن الاستشراف في كل مراحله قد يغادر جانبًا من جوانب الثقافة الإسلامية عن الإسلام وحضارته، إنه لم يغادر جانبًا من جوانب الثقافة الإسلامية إلا قال كلمة فيها، وما زال الاستشراف حتى الآن يواصل البحث لا للوقوف على ما في الإسلام وعلومه من حقائق، ولكن لا قامة للأدلة على ما درج عليه من مبادئ وأفكار (١).

إذا كان الاستشراف في بواعير أيامه قد ترجم القرآن الكريم، وكتب في العقيدة الإسلامية وحياة رسول الله - ﷺ - فإنه في العصر الحديث اتجه نحو دراسة كل العلوم الإسلامية لا من حيث الانتفاع بها وإنما من حيث إثبات أنها مأخوذة من مصادر أجنبية، وأن العقلية الإسلامية لم تعرف النبوغ أو الإبداع الفكري، وقد عاشت عالة على سواها، وهي من ثم لم تقدم جديداً مفيداً في عالم الفكر، ولهذا كان تراثها العلمي مزاجاً من تراث الأمم التي دخلها الإسلام، أو اتصل بها عن طريق السفارة والنقل والترجمة، ومن العلوم التي عزا الاستشراف مصادرها إلى ما كان معروفاً في عصر ما قبل الإسلام من نظم وقوانين الفقه الإسلامي، لقد

(١) انظر بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، للدكتور صوفي أبو طالب: ص/٤ - القاهرة.

(١) الشريعة نصوص محكمة ثابتة محددة، وقواعد كلية عامة، والفقه هو الفهم البشري لتلك النصوص إذا كانت مجالاً للاجتهاد، وهذه القواعد وأعمالها في الجزئيات المتعددة وفق الظروف المتغيرة (وانظر الفكر القانوني الإسلامي، للأستاذ فتحي عثمان: ص/٢٢٢).

المبحث السادس  
المبحث الثاني ١٤١٥ - المجلد ٣٩ - ديماء الثاني  
لباس عربي (١) . وعلى حد قول البعض الآخر إن الفقه ليس شيئاً آخر  
غير التلمود (٢) .

ويتهم بعض المستشرقين الفقهاء المسلمين بالتواطؤ المقدس على  
السكتون الجنائي بقصد المصادر التي أخذوا منها مادتهم (٣) ، فهم في  
نظرة جنابة سطوا على سواهم ، واتفقوا جميعاً على أن يلوذوا بالصمت ،  
وألا يفصحوا عما كان منهم من نقل أو سطو .  
كذلك تجدر الإشارة إلى أن من المستشرقين من قال عن الفقه الإسلامي :  
« إن البشرية تفخر بهذا التشريع ، وإننا سنكون نحن الأوربيين أسعد  
ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألف عام » (٤) .

ويقول المستشرق المجري ثيري : « إن فهمكم الإسلامي واسع جداً إلى  
درجة أنني أتعجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبتوا منه الأنظمة  
والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم » (٥) .

ولكن صوت هؤلاء الذين أثروا على الفقه الإسلامي ، واعترفوا بقيمه  
وأصالته كان أشبه ما يكون بالهمس وسط العاصفة فلا يسمع له أو يؤبه  
به ، ولهذا ظلت نظرية القول بالتأثير على الرغم من صدور قرار بالإجماع  
عن مؤتمر القانون الدولي المقارن الذي عقد في مدينة لاهاي عام ١٩٣٧ م

(١) بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني : ص ٦ / .

(٢) انظر هل للقانون الروماني تأثير على الفقه الإسلامي ، مجموعة دراسات  
بعض المستشرقين والعلماء المسلمين : ص ٧٦ - بيروت .

(٣) المصدر السابق : ص ١٦٤ / .

(٤) المدخل للفقه الإسلامي ، للأستاذ محمد سلام مذكر : ص ٢٨ / .  
القاهرة .

الاستشراق والفقه الإسلامي  
البحث السادس  
بعد وجود أية صلة بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني - بالمعنى  
الذي أومنا إليه ذاته في محيط الفكر الاستشرافي ، يرددنا غالباً كل  
من كتب من المستشرقين عن القوانين الإسلامية ، كما أن الاستشراق في  
موقعه من الفقه الإسلامي غير من طرائقه بعد الحرب العالمية الثانية وإن  
لم يغير من أهدافه ، ومن هنا كان الحديث عن هذا الموقف من أوجب  
الواجبات لا لنرد علـ باطل بقدر ما نتبـ إلى عدوـ فكري ضارـ لا يـ يـ  
عن السعي من أجل بـرـ صـلـةـ المـسـلـمـينـ بـدـيـنـهـ ،ـ أوـ عـدـمـ التـزـامـهـ الصـحـيـحـ  
ـ بـهـ .

فـماـ هيـ إذـنـ أدـلـةـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـقـولـونـ بـتأـثـيرـ الفـقـهـ إـلـاسـلـامـيـ بـالـقـانـونـ  
ـالـرـوـمـانـيـ ،ـ أوـ التـلـمـودـ اليـهـودـيـ ؟ـ وـهـلـ هيـ أـدـلـةـ تـنـهـضـ عـلـىـ أـسـسـ عـلـمـيـةـ  
ـصـحـيـحةـ أـوـ أـنـهـ لـاـ تـعـدـ أـنـ تـكـوـنـ اـفـتـرـاضـاتـ تـفـتـرـقـ إـلـىـ بـرـاهـيـنـ أـوـ أـدـلـةـ  
ـإـثـبـاتـ ؟ـ

وـهـلـ الـذـينـ تـبـنـواـ هـذـهـ النـظـرـيـةـ مـنـ الـمـسـتـشـرـاقـينـ وـمـنـ سـارـ عـلـىـ دـرـبـهـ  
ـكـانـواـ يـتـوـخـونـ فـيـمـاـ يـبـحـثـونـ الـدـرـاسـةـ الـعـلـمـيـةـ الـمـبـرـأـةـ مـنـ الـأـهـمـاءـ وـخـدـمـةـ  
ـالـأـغـرـاضـ السـيـاسـيـةـ نـحـوـهـ ؟ـ

سـأـعـرـضـ أـوـلـاـ نـظـرـيـةـ تـأـثـيرـ الفـقـهـ إـلـاسـلـامـيـ بـالـقـانـونـ الرـوـمـانـيـ .ـ ثـمـ  
ـأـتـنـاـوـلـ بـعـدـ ذـكـرـ ذـكـرـ تـأـثـيرـ هـذـهـ الفـقـهـ بـالـتـلـمـودـ اليـهـودـيـ .ـ

[يتبع]

البعث الإسلامي  
قافية «المصادر» و «المراجع»  
وقد أخذ أحد المسلمين يصدر دورية معاشرة تهتم بإنتاج المسلمين  
بصورة خاصة (على عكس دورية بيرسون الآنفة الذكر التي تهتم بإنتاج  
المستشرقين بصورة خاصة) وعنوانها كما يلي :

Periodica Islamica,  
Berita Publishing, 22 Jalan Liku, 59100 Kuala Lumpur, Malaysia

### دائرة المعارف الإسلامية :

و من المراجع الأساسية كذلك طبعت دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) التي تصدر بليدن (هولندا) باللغتين الإنجليزية والفرنسية . فإلى جانب إعطائك معلومات أساسية حول موضوع ما (وقد تكون تلك المعلومات ملونة بنظرة الكاتب الذي يكون عموماً من المستشرقين) تحمل في نهاية المقال على ثبات هام من المراجع الأساسية حول ذلك الموضوع ، وهي ستكون نقطة انطلاقك الأولى لتحول عبر تلك المراجع إلى مصادر و مراجع أخرى . وإن لا يوجد لها فهارس أما فإننشر لها فهارس وهي مستمرة مع مجلدات الدائرة ..

ودائرة المعارف الإسلامية التركية : islam Ansiklopedisi ثابتة ويمكنك الرجوع إلى الموضوع الذي تهتم به بسهولة بالنظر في العنوان الفرعي الخاص بموضوعك في مجلدات الفهرست الأولى وأعداده الربع سنوية التالية . (ويما حبذا لو كان هناك فهرس مماثل للمقالات العلمية باللغات الإسلامية والفارسية والأردية والتركية . فهناك

وهناك ترجمة أردية لمقالات مع إضافات وتنقيحات بعنوان : (أردو دائرة معارف إسلامية) أصدرها قسم دائرة المعارف الإسلامية الأردية بجامعة البنجاب بلاهور ، في ٢٥ مجلداً ، واستغرقت ترجمتها وإعدادها أكثر من ٢٥ سنة .

### منهجية البحث العلمي [٢] :

#### قضية «المصادر» و «المراجع»

[الحلقة الخامسة]

سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان

مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

### الفهرست الإسلامي لبيرسون :

ولعل أهم مصدر عصري هو العمل الفخم الذي بدأه بيرسون بعنوان الفهرست الإسلامي (Index Islamicus) ، وقد حصر في مجلداته كل ما نشر من مقالات وكتيبات علمية بشتى اللغات الأوروبية بما فيه المجموعات التي تحتوي على مقالات عدة كتاب منذ سنة ١٩٠٦ م ، ويحيط المجلد الأول منه بفترة ١٩٥٥-١٩٠٦ م ، ثم صدرت مجلدات منه كل خمس سنوات ، وهو يصدر الآن في صورة نشرة ربع سنوية ، ولا غنى لأي باحث في أي مجال من مجالات الدراسات الإسلامية والعربية عن هذا الفهرست ، وهو يتناول مختلف الموضوعات تحت عناوين فرعية ثابتة ويمكنك الرجوع إلى الموضوع الذي تهتم به بسهولة بالنظر في العنوان الفرعي الخاص بموضوعك في مجلدات الفهرست الأولى وأعداده الربع سنوية التالية . (ويما حبذا لو كان هناك فهرس مماثل للمقالات العلمية باللغات الإسلامية والفارسية والأردية والتركية . فهناك جهد على ضخم مدفون بين صفحات الجلات العلمية الإسلامية وهو لا يقل أهمية مما نشر خلال هذه الفترة من كتب) وكان أحد المستشرقين بدأ عملاً كهذا ولكن لم يستمر وهو - I. F. P. Hopkins, Arabic periodical Literatur 1961 - الذي فهرس مقالات ٢٢ دورية عربية لعام ١٩٦١ م .

ومنذ سنوات قليلة بدأت تظهر (دائرة المعارف الإيرانية) (Encyclopaedia Iranica) من الولايات المتحدة ، ويرمز لها بـ El٢ وهي تحتوي على مقالات جديدة ليس فقط عن الموضوعات الإيرانية بل وكذلك عن موضوعات الأدب والتاريخ العربيين التي لها علاقة ببلاد فارس وهي تتناول شخصيات فارسية كتبت بالعربية . وكذلك بدأت تظهر في إيران ما يسمى بـ « دائرة المعارف الإسلامية العظمى » (The Great Islamic Encyclopaedia) . ويقول محررها إنها خالية من الغلو الشيعي وأنها تنظر إلى قضايا الإسلام نظرة محايدة غير متأثرة بمذهب أو آخر (١) .

### معاجم :

وعليك أن تكون على دراية جيدة بالصطلاحات التي تستخدمنها ، وقد يرتكب الباحث أشنع الأخطاء لظن أنه يفهم المصطلح لجرد أنه يعرف لغة ذلك المصطلح .. وعلى سبيل المثال لو كنت تتناول وثائق سياسية أو تجارية فستجد فيها الكثير من المصطلحات التي قد تختلف معانيها من عصر إلى عصر ، بل ومن بلد إلى بلد ..

من الملاحظ أن المعاجم العربية الكلاسيكية الرائدة تسقط من اعتبارها كلمات مستحدثة أو « معربة » و « مولدة » ولذلك وجب على باحث اللغة العربية ألا يكون غافلا عن معاجم تتناول ما لا يوجد عموما في المعاجم العربية الكلاسيكية التي سبق ذكرها مثل « لسان العرب » لابن منظور .

(١) انظر مجلة The Middle East ٢٠٢ (لندن سبتمبر ١٩٩١) ص ٤٤-٤٥ .

البعث الإسلامي  
قضية « الصادر » ، « الرابع »

ومن أهم هذه المعاجم : « المغرب من الكلام الأعجمي » للجواليقي (م : ٥٤/١٤٥-١٤٦) تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة ١٢٦١) (١) وشفاء الغليل فيما في كتاب العرب من الدخيل لخفاجي (م : ١٠٦٩-١٦٥٩) (تحقيق : محمد بدر الدين النعماني ، القاهرة - ١٢٢٥) وهما عن الكلمات الأجنبية الدخلية على اللغة العربية . ومن المؤلفات الحديثة في هذا المجال : كتاب مار أغناطيوس إفرايم الأول برسوم « الألفاظ السريانية في المعاجم العربية » (دمشق ١٩٤٨-١٩٥١ م) .

ثم هنالك كلمات لا يعرف أصلها ومصدرها أو هي كثيراً ما تتعرض لأخطاء إملائية ويرجع لها إلى « أدب الكاتب » لابن قتيبة الدينوري (م : ٢٧٦/٨٨٩) و « دزة الغواص في أوهام الخواص » للحريري (م : ٥١٦/١٢٢) ، وإلى معجم رينهارد دوزي لعرفة أسماء الملابس العربية . و مختلف أجزائها :

Reinhard P. A. Dozy ,  
Dictionnaire detaillé des Noms des Vêtements chez les Arabes (1845) .

وقد ترجم إلى العربية بعنوان : « معجم مفصل في أسماء الملابس عند العرب » .

وقد أورد البروفيسور بوزورث في الجزء الثاني من كتابه : « العالم التحتي الإسلامي في العصور الوسطى » اللغة التي كان الأوباش والشحاذون يستخدمونها في تلك الفترة .

ومن المعاجم المتخصصة التي تشرح المصطلحات الفنية : « مفتاح العلوم » لخوارزمي . و « كتاب التعريفات » للجرجاني . و « كشاف

(١) وقد قام بتحقيق جديد لهذا الكتاب الدكتور ف. عبد الرحيم أستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . [التحرير]

اصطلاحات الفنون "لحمد علي الفاروقى التهانوى (الذى نشره سبرينغر (Sprenger) بعنوان (Dictionary of technical terms of the Muslims) وقد

أعيد طبعه بالتصوير ببيروت).

ثم هنالك معاجم للهجات العامية الرائجة في مختلف أنحاء العالم العربي . وقد ظهرت هذه المعاجم على أيدي مستشرقين وذلك لأن الباحثين العرب يخافون من أن مؤلفات كهذه ستساعد على تكريس الفرقة والتبعاد

بين الشعوب العربية التي تجمعها اللغة العربية المكتوبة على الأقل .

ومن هذه المعاجم التي تهم باحثي اللغة العربية من غير العرب بصفة خاصة فهم كثيراً ما يسمعون أو يقرأون تعبيرات لا يفهمون لها معنى :

= معجم سپريل للعامية المصرية :

S. Spiro, An Arabico-English vocabulary of the colloquial Arabic of Egypt.

= كتاباً لاندبيرغ حول لهجات العامة في جنوب الجزيرة العربية :

C. de Landberg, Glossaire datinois; Etudes sur les dialects de l'Arabic meridienne .

= معجم بارثليمي العربي الفرنسي للهجة العامية السورية :

A. Barthelemy, Dictionnaire arabe-française. Dialectes de Syrie .

= ولدونيسو مستدرک عليه أضاف فيه كلمات من العامية السورية الفلسطينية :

Cl. Denizeau, Dictionnaire des parlers de Syrie, Liban et Palestine .

= كتاب مارسيز حول العامية المغربية :

W. Marcais, Textes arabes des Takrouna .

= جلال حنفي «معجم الألفاظ الكويتية» (بغداد) .

= نفس المؤلف «معجم الألفاظ العامية البدارية» (بغداد) .

= رشيد عطية «معجم عطية في العامي والدخيل» (سان باولو ١٩٤٤م) .

وقد أعدت عدة معاجم للاستخدامات العربية في المغرب وسوريا

البعث الإسلامي  
والعراق .. إلخ . تحت إشراف ريتشارد هاريل (Richard S. Harrell) (Goitein) في الجزء الأول من كتابه «مجتمع البحر الأبيض المتوسط» (Mediterranean Society) أنه لم يكن بإمكانه أن يفهم بعض ما ورد في وثائق «الجنيز» (اليهودية) المصرية حول التجارة بين مصر واليمن والهند خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلادى لو لا دراسته للعامية الرائجة بين يهود اليمن خلال الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن .

وقد نشرت في البلاد العربية ، وخصوصاً بلبنان ، في العقود الأخيرة معاجم كثيرة للكلمات الجديدة التي دخلت اللغة العربية أو الكلمات القديمة التي أسبغت عليها معاني جديدة . وذلك في مجالات مختلفة كالقانون والسياسة والعسكرية والطب والعلوم إلخ ..

ويحتاج الباحث أن يحتفظ لديه في مكتبه الشخصية بنسخة من بعض المعاجم الجديدة للغات الأجنبية التي يتعامل بها . وهناك معاجم كثيرة عربية - إنجليزية وإنجليزية - عربية . وقد وجدت من خلال تجربتي أن المورد لنير البعبكي (بيروت) وArabic-English Dictionary لهانز وير Hans Wehr (نيويورك) يكفيان للأغراض العامة دون التنقيب الفني الدقيق (رغم أن لي مآخذ كثيرة على كليهما) .

وعلى بالرجوع إلى مد القاموس لإدوارد لين الذي أكمله ستانلى لين (Edward W. Lane, An Arabic-English Lexicon (London 1863-93) بول

البعث الإسلامي  
العدد ٧ - المجلد ٣٩ - ربیع الثانی ١٤١٥هـ  
لعرفة مرادفات إنجليزية لکلمات عربية قديمة ، وهناك محاولات لاستدرار  
ما فات مد القاموس منها :

١- الملحق الذي وضعه دوزي في جزئين لکلمات التي غابت عن المعاجم  
العربية المتداولة وخصوصاً مد القاموس ، واعتمد فيه على أمثلة من  
النصوص القديمة وخصوصاً للفترة الوسيطة التي أعقبت العصر  
الإسلامي الأول واستخدامات المغرب العربي .  
(R. P. A. Dozy, *Supplement aux dictionnaires Arabes* (2nd.. Leiden 1927).

٢- وألف فاغنان مستدرگاً آخر هاماً على صغر حجمه :  
Fagnan, *Additions aux dictionaries*.  
٣- معجم أنتون سبيتالير وآخرين بالألمانية وصدره لا يزال مستمراً  
في أجزاء وهو يعتمد على الاستعمالات العربية القديمة ويورد الشواهد  
من الأدب الكلاسيكي :

Anton Spitaler et. al. , *Worterbuch der Klassischen Arabischen Sprache*  
(Wiesbaden 1975-).

وهناك معجم آخر هام لدارسي اللغة والأدب العربيين وهو المعجم الذي  
يضعه بلاشير (R. Blachere) وآخرون بعنوان :

Dictionnaire arabe-français-anglais (Paris 1967-).  
وكما هو واضح من عنوانه هذا المعجم يعطي معاني الكلمات العربية  
بالفرنسية والإنجليزية معاً ، وصدره مستمر .

ومعجم ستاینفراس الفارسي - الإنجليزي :

Steingrass, *A Comprehensive Persian-English dictionary* (London 1892).

مفید للتعرف على معاني کلمات فارسية دخلت على عربية الشرق العربي .  
وهي کلمات تتجاهلها المعاجم العربية عموماً .

أما الذين يستغلون بدراسات حول مختلف قضایا الدولة العثمانية

البعث الإسلامي  
قضية "الصادر" ، "المراجع"  
التي خضعت لها الكثير من البلاد العربية خلال القرون الخمسة أو الستة  
الماضية فسيفیدهم معجم ريد هاؤس "المعجم العثماني التركي" -  
الإنجليزي " :

James W. Redhouse, *Turkish and English Lexicon* (Constantinople 1890).  
وذلك لمعرفة معاني کلمات ومصطلحات عربية شاعت في الاستخدامات  
العثمانية مع تغير معانيها في بعض الأحايين . وقد أعيد نشر هذا  
المعجم مع إضافات بعنوان :

Redhouse Yeni Turkce-ingilize Sozluk (Istanbul 1968).  
وهناك معاجم وضعها مستشرقون لکلمات الصعبه التي مرروا بها خلال  
تحقيقهم مخطوطات عربية ، وبعض هذه المعاجم ملحق بنفس تلك  
الأعمال المحققة . وعلى سبيل المثال المعجم الملحق بالجزء الخاص  
بالفهارس في طبعة ليدن من تاريخ الطبرى ، والمعجم التي وضعها دي  
غويه (de Goeje) نتيجة تحقيقه مخطوطات جغرافية عربية . وهذا

Bidliotheaca geographorum arabicorum  
نجد أن الجزء الرابع من كتابه يحتوى على معجم للمصطلحات والکلمات الصعبه التي استخدمها ابن  
حوقل والأصطخرى والمقدسى في كتبهم . وكذلك وضع دي غويه معجماً  
في المجلد الذى يحتوى تحقيقه لكتاب ابن قتيبة ، «كتاب الشعر  
والشعراء» و وضع ليوبن «معجم الفصائد الھذيلية» (B. Lewin, A.  
vocabulary of the Hudailian Poems)

وبخصوص الأدب العربي القديم يمكن الرجوع إلى معجم في الجزء  
الثالث من كتاب «نواقض» جریر والفرزدق الذى حققه بیغان (Bevan) ،  
وذلك في الجزء الثالث من كتاب «المفضليات» الذى حققه لیال (Lyall) .

[يتبع]

## بين الضعيف والموضوع من الأحاديث

[الحلقة الثامنة]

فضيلة الشيخ عبد الله الأسعدي

عضو مينة التدريس بالجامعة العربية - متورا - باندا (الهند)

### الباب الثالث:

#### تلقي الضعيف بالقبول:

ومما لا يمكن الخلاف فيه «إن الضعيف إذا تلقي بالقبول من العلامة والجتهدين، يخرج من حكم الضعيف المحسن والضعيف المطلق».

#### ١- تعريف الضعيف المتلقى بالقبول:

قال الإمام السيوطي في «شرح نظم الدرر» في تعريف الضعيف المتلقى بالقبول وبيانه «ما تلقاه العلماء - أي من الضعيف - بالقبول وإن لم يكن له إسناد صحيح أو اشتهر عند أئمة الحديث بغير نكير منهم» (١).

و جاء من قوله نقاً عن البعض: «يحكم للحديث بالصحة إذا تلقاه الناس بالقبول وإن لم يكن له إسناد صحيح» (٢).

#### ٢- نصوص الأئمة في ذلك:

حكى الشيخ محسن اليماني في رسالته: «التحفة المرضية» قول الاسفرايني وابن فورك: «تعرف صحة الحديث إذا اشتهر عند أئمة

(١) نفس المصدر: (الأجوبة الفاضلة - التعليقات: ص ٢٢١/٢٢١).

وجاء قول ابن فورك في (النكت: ص ٢٧٢ و (توضيح الأفكار: ١٢٥/١).

(٢) (الأجوبة الفاضلة - التعليقات: ص ٢٢١/٢٢١).

(٣) (النكت: ص ٢٧٢).

(٤) (النكت: ص ٢٧٤).

(٥) نفس المصدر ونقله عن الشيخ تليذه البارع ابن القيم في كتابه «الصواعق».

(١) (الأجوبة الفاضلة - التعليقات: ص ٢٢٩/٢٢٩) من رسالة اليماني.

(٢) (تهذيب الراوي: ٦٢/١).

وهذا الذي عنـه الإمام مالـك - رحـمه الله - بـقولـه الذي تـقدم ذـكرـه :  
« شهرـةـ الحـدـيـثـ بـالـدـيـنـةـ تـغـنـىـ عـنـ صـحـةـ سـنـدـهـ » (١) .

وقـالـ ابنـ عبدـ البرـ فيـ كـتابـهـ : « التـمـهـيدـ » وـهـوـ يـتـكلـمـ فـيـ حـدـيـثـ جـابـرـ مـرـفـوعـاـ « الـدـيـنـارـ أـرـبـعـةـ وـعـشـرـونـ قـيرـاطـاـ » .

« وـفـيـ قـولـ جـمـاعـةـ الـعـلـمـاءـ وـإـجـمـاعـ النـاسـ عـلـىـ مـعـنـاهـ ، غـنـىـ ، عـنـ إـسـنـادـ فـيـهـ » (٢) .

وـجـاءـ مـنـ قـولـهـ فـيـ كـتابـهـ : « تـجـرـيدـ التـمـهـيدـ » وـذـكـرـهـ فـيـ كـلامـهـ فـيـ حـدـيـثـ تـعـالـىـ - فـيـهـ جـاءـ مـنـ قـولـهـ فـيـ كـتابـهـ : « الـأـمـ » :

تـرـكـتـ فـيـكـمـ أـمـرـيـنـ .ـ الـحـدـيـثـ : « هـذـاـ حـدـيـثـ مـحـفـظـ مـشـهـورـ عـنـ النـبـيـ الـكـرـيمـ - ﷺ - عـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ شـهـرـةـ يـكـادـ يـسـتـفـنـىـ بـهـاـ عـنـ إـسـنـادـ » (٢) .

وـقـالـ ابنـ الـقـيـمـ ،ـ وـهـوـ يـتـكلـمـ فـيـ مـثـلـ حـدـيـثـ مـعـاذـ الـذـيـ وـرـدـ فـيـ الـاجـتـهـادـ :  
« وـإـنـ كـانـتـ هـذـهـ أـلـهـاـدـيـثـ لـمـ تـثـبـتـ مـنـ جـهـةـ إـسـنـادـ ..ـ لـكـنـ لـاـ نـقـلـهـاـ الـكـافـةـ عـنـ الـكـافـةـ غـنـىـ بـصـحـتـهاـ عـنـهـمـ عـنـ طـلـبـ إـسـنـادـ لـهـاـ » (٤) .

وـأـيـضاـ :ـ قـالـ فـيـ حـدـيـثـ تـلـقـيـنـ الـمـيـتـ :ـ فـهـذـاـ حـدـيـثـ وـإـنـ لـمـ يـثـبـتـ فـاتـصالـ الـعـلـمـ بـهـ فـيـ سـائـرـ الـامـصارـ وـالـأـعـصـارـ مـنـ غـيـرـ إـنـكارـ .ـ كـانـ فـيـ

»» صـ/٢٢١ـ )ـ قـالـ شـيخـناـ عـبـدـ الـفـتـاحـ أـبـوـ غـدـةـ فـيـ تـعـلـيقـاتـهـ عـلـىـ (ـالـأـجـوـبةـ الـفـاضـلـةـ)ـ .ـ نـقـلـ هـيـبـهـ إـجـمـاعـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ الـعـلـمـ بـهـ كـمـاـ اـدـعـىـ هـوـ - رـحـمـهـ اللهـ -ـ انـ

الـحـدـيـثـ المـذـكـورـ صـحـيـحـ سـنـدـاـ (ـتـعـلـيقـاتـ الـأـجـوـبةـ الـفـاضـلـةـ :ـ صـ/٥٢ـ)ـ .ـ

(١) (سنـنـ الدـارـ قـطـنـيـ :ـ ٤٤١ـ/٢ـ)ـ .ـ

(٢) (الـتـدـرـيـبـ :ـ ٦٧ـ/١ـ)ـ .ـ

(٣) (تجـرـيدـ التـمـهـيدـ :ـ صـ/٢٥١ـ)ـ .ـ

(٤) (اعـلـامـ الـمـوـقـعـينـ :ـ ٢٠٢ـ/١ـ)ـ .ـ (ـتـحـفـةـ الـأـحـوـذـيـ :ـ ٥٥٩ـ/٤ـ)ـ .ـ

وـقـدـ اـسـتـوـعـبـ الشـيـخـ أـسـمـاءـ الـفـحـولـ مـنـ عـلـمـاءـ الـمـذـاـهـبـ الـأـرـبـعـةـ وـغـيـرـهـ مـنـ صـرـحـواـ بـذـكـرـهـ ،ـ وـقـالـ الـحـاـفـظـ اـبـنـ حـجـرـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ مـنـ كـتـابـهـ :

«ـ مـنـ جـمـلةـ صـفـاتـ الـقـبـولـ ..ـ أـنـ يـتـفـقـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ الـعـلـمـ بـمـدـلـولـ حـدـيـثـ فـيـهـ يـقـبـلـ حـتـىـ يـجـبـ الـعـلـمـ بـهـ » (١)ـ .ـ

وـمـنـ حـفـظـ ذـكـرـهـ ،ـ مـنـ أـئـمـةـ الـمـذـاـهـبـ ،ـ الـإـمـامـ الشـافـعـيـ - رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ - فـيـهـ جـاءـ مـنـ قـولـهـ فـيـ كـتابـهـ :ـ «ـ الـأـمـ » :

«ـ وـمـاـ قـلـتـ مـنـ أـنـهـ ،ـ إـذـاـ غـيـرـ طـعـمـ الـمـاءـ وـرـيـحـهـ وـلـوـنـهـ -ـ يـرـوـىـ عـنـ النـبـيـ الـكـرـيمـ - ﷺ -ـ (٢)ـ مـنـ وـجـهـ لـاـ يـثـبـتـهـ أـهـلـ الـحـدـيـثـ وـلـكـنـ قـولـ الـعـامـةـ وـلـاـ أـعـلـمـ بـيـنـهـ فـيـ خـلـافـاـ » (٢)ـ .ـ

وـقـالـ - رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ -ـ فـيـ حـدـيـثـ «ـ لـاـ وـصـيـةـ لـوـارـثـ » :

«ـ لـاـ يـثـبـتـهـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـحـدـيـثـ وـلـكـنـ الـعـامـةـ تـلـقـتـهـ بـالـقـبـولـ وـعـمـلـوـاـ بـهـ حـتـىـ جـعـلـوـهـ نـاسـخـاـ لـآـيـةـ الـوـصـيـةـ لـلـوـارـثـ » (٤)ـ .ـ

»» الـرـسـلـةـ :ـ صـ/٤٨١ـ-٤٨٢ـ)ـ ،ـ وـجـاءـ ذـكـرـهـ فـيـ فـتاـواـهـ أـيـضاـ كـمـاـ صـرـحـ بـذـكـرـهـ

الـحـقـ فـيـ تـعـلـيقـاتـ عـلـىـ الـنـكـتـ .ـ

(١) (الـنـكـتـ :ـ صـ/٤٩٤ـ)ـ .ـ

(٢) روـاهـ الطـحاـويـ وـالـدارـ قـطـنـيـ وـالـطـبـرـانـيـ وـابـنـ مـاجـةـ .ـ وـصـحـ أـبـوـ حـاتـمـ إـرـسـالـهـ فـالـرـفـوـعـ الـمـوـصـلـ الـضـعـيفـ -ـ لـوـ اـعـتـبـرـنـاهـ ضـعـيفـاـ -ـ مـقـبـولـ إـذـ تـأـبـدـ

بـالـرـسـلـ الصـحـيـحـ (ـرـاجـعـ اـعـلـاءـ السـنـنـ :ـ ١٧٩ـ/١ـ)ـ أـمـانـيـ الـأـحـبـارـ شـرـحـ معـانـيـ الـآـثارـ :ـ ٤٦ـ/١ـ)ـ وـ(ـتـلـخـيـصـ الـحـبـيرـ :ـ أـيـضاـ ٤ـ/١ـ)ـ .ـ

(٢) (كتـابـ الـأـمـ :ـ ٢ـ/١ـ)ـ نـقـلاـ مـنـ اـخـتـلـافـ الـحـدـيـثـ .ـ

(٤) (الـنـكـتـ مـعـ تـعـلـيقـ :ـ صـ/٤٩٤ـ-٤٩٥ـ)ـ ،ـ وـ(ـالـأـجـوـبةـ الـفـاضـلـةـ -ـ تـعـلـيقـاتـ :ـ

العمل به (١) ، و راجع أواخر تعلیقات شیخنا عبد الفتاح أبي غدة حفظه الله تعالى - على الأジョبة الفاضلة تجدها وافية كافية في الموضوع .

## ٢- المراد بالتلقي بالقبول :

إن تلقي الضعيف بالقبول ، قد يكون بالرواية والنقل ، وقد يكون إن تلقي الضعيف بالقبول ، أي له صورتان :

الأولى : إن يكون التلقي بالقبول بين الأمة والأئمة والعلماء ، بأن يشتهر نقله وروایته بينهم بدون نكير ، وهذا الذي ذكره الإسپرائيني الذي تقدم : « تعرف صحة الحديث إذا اشتهر عند أئمة الحديث بغير نكير منهم » (٢) .

وهو المعنى بقول الإمام مالك - رحمه الله تعالى - :  
« شهرة الحديث بالمدينة تفنى عن صحة سنته » .

والصورة الثانية : أن يكون هذا التلقي بأن يكون عليه عملهم وبه يفتون أي يتلقونه بالقول والعمل ، وهو الذي يريده الإمام الترمذى ، حينما يقول : « والعمل عليه عند أهل العلم » (٢) .

أقول وقد أكثر الإمام الترمذى في جامعه من قوله هذا ونحوه - مع ذكره ضعف الحديث وضعف الرواية ، وما يعني به ويريد هو تلقيه

(١) (الروح : ص ١٤٠) .

(٢) (الأجوبة الفاضلة - التعلیقات : ص ٢٢١) .

(٢) باب كراهة الاستئناء باليمين وباب الاستئناء بالباء - مع الصحة ، أما مع الضعف ففي باب ما جاء في من استقاء عمداً ، باب ما جاء في الصلاة على الدابة في الطين والمطر ، باب ما جاء في الرجل يقتل ابنه ، وغيرها .

بالقبول عندهم عملاً وإفتاءً . قال السيوطي في شرح هذا اللفظ : « أشار بذلك أن الحديث اعتُنِدَ بقول أهل العلم » (١) .

ولعل التهانوي ، إلى هذين النوعين من التلقي أي التلقي بالرواية والنقل والتلقي بالإفتاء والعمل . أشار بقوله :

« القبول يكون تارة بالقول وتارة بالعمل عليه » (٢) .

فالقبول بالقول هو الرواية والنقل والقبول بالعمل هو الإفتاء والعمل .

## ٤- حكم الحديث الضعيف المتلقي بالقبول :

إن هذا التلقي ، أهم وأقوى من الإسناد ، وهو أعلى من النظر في صحة السند وثقافة الرجال . ولذا فالتلقي يجعل الحديث الضعيف بحيث أن يوضع في كفة واحدة مع صحيح من أخبار الأحاداد ويعامل معاملتها . بل فوق ذلك بكثير حتى ينال به الضعيف القطعية والقوة التي يحظى بها الخبر المتواتر .

وذلك نظراً إلى كيفية التلقي وقوته فإن التلقي لا يكون من منوال واحد وعلى نوع واحد ، فلا محالة يتفاوت حكمه باختلاف ذلك مع الاعتبار لكل ما يوجد منه . فقد نقل الحافظ ابن حجر ، عن ابن فورك أنه فصل ذلك ، فقال : « إن اتفقوا على العمل به لم يقطع بصدقه ، وحمل الأمر على اعتقادهم وجوب العمل بخبر الواحد ، وإن تلقوه بالقبول قولًا وفعلاً حكم بصدقه قطعاً » (٢) .

(١) (قواعد في علوم الحديث : ص ٤٠) .

(٢) (النكت : ص ٢٧٢) .

وقال الإمام أبو بكر الجصاص الرازى في «أحكام القرآن» وهو يتكلّم في بعض الأحاديث : « وقد استعملت الأمة هذين الحديثين ، وإن كان وروده من طريق الآحاد فصار في حيز التواتر ، لأن ما تلقاه الناس من أخبار الآحاد بالقبول . فهو عندنا في معنى المتواتر لما بيناه في مواضع أخبار الآحاد بالقبول . (١) .

وقال الحافظ ابن الصلاح في شرحه على الصحيح لابن مسلم ، في كلامه في ما اتفق عل إخراج الشیخان وحكمه : « ما اتفقا عليه مقطوع بصدقه ، لتلقى الأمة له بالقبول وذلك يفيد العلم النظري ، وهو في إفاده العلم كالمتواتر ، إلا أن المتواتر يفيد العلم الضروري . وتلقى الأمة بالقبول يفيد العلم النظري » (٢) .

وذكر الحافظ ابن حجر : « جزم القاضي أبو نصر عبد الوهاب المالكي بالصحة فيما إذا تلقوه بالقبول ، وذكر القاضي الخلاف فيما إذا أجمعت الأمة على العمل بخبر ، هل يدل ذلك على الصحة أم لا ؟ على قولين (٢) . وقد تقدم ما جاء في كتاب « محسن الاصطلاح » عن شيخ الإسلام ابن تيمية نقله عن جمع وأئمة من علماء المذاهب الأربعة : « القطع بصحة الحديث الذي تلقته الأمة بالقبول » (٤) .

وكذا : « إفادة الحديث المتلقى بالقبول العلم عند جماهير العلماء من

(١) (أحكام القرآن - للجصاص : ص ٢٨٦/١) .

(٢) (مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم : ص ٢٠/٢) . (مقدمة ابن الصلاح : ص ٢٤-٢٥) ، و (النكت : ص ٢٢٢/٤) .

(٤-٢) (النكت : ص ٢٢٢/٤) .

السلف والخلف » (١) .

واختار الحافظ ابن حجر أيضًا القبول ووجوب العمل بما اتفق العلامة من العمل بمدلول الحديث (٢) .

وقال تلميذه النابغة الحافظ السخاوي في «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» : « وكذا إذا تلقت الأمة الضعيف بالقبول يعمل به على الصحيح (أي وجوباً) . لما صرخ به الحافظ ويidel عليه لفظ السخاوي فيما بعد (٢) حتى أنه ينزل منزلة المتواتر في أنه ينسخ المقطع به ولهذا قال الإمام الشافعي في حديث « لا وصية لوارث » إن « لا يثبته أهل الحديث ولكن العامة تلقته بالقبول وعملوا به حتى جعلوه ناسخاً لآية الوصية » (٤) .

تلخص من كل ذلك ، أن تلقي الضعيف بالقبول ، لا يجعل الحديث الضعيف ، مقبولاً بدرجة صحيح أخبار الآحاد وحسنها فقط ، بل يصير به الضعيف أعلى وأرفع من جميع أقسام أخبار الآحاد ، ويصير بحيث يوازي ويساوي المتواتر الذي هو أعلى أقسام أخبار الآحاد ، وأعلى الدلائل الشرعية ثبوتاً وصححةً وقوءةً ، بل هو نادر أو أقل قليل وجوداً في ذخيرة الأخبار والأحاديث ولجماعتها ، فلذا حكم حكم المتواتر في القطعية ، وفي إفادته العلم واليقين ، وكذا في إفادته النسخ لما يخالفه من القطع أيضاً ، أي إذا وجدت القرائن لذلك وتحققت الشروط .

إلا أن العلم الحاصل به لا يكون ضرورياً وبديهياً كما يفيده المتواتر

(١) (النكت : ص ٤٩٤/٤) . (٢) (النكت : ص ٢٧٢/٢) .

(٢) الأرجوحة الفاضلة - التعليقات : ص ٥١/١) .

(٤) (فتح المغيث : ص ٢٨٥/٢) . و (الأرجوحة الفاضلة : ص ٥١/٥٢) .

من عامة الأخبار ، أي المتواتر المصطلح وهو الذي ثبت توافره سنداً ونقاً ، طبقة عن طبقة ، بل الضعيف الملقى بالقبول يفيد العلم النظري كما ذكر ابن الصلاح وهذا ما يفيده أخبار الآحاد أيضاً إذا احتفت به قرائن (١) .

هل هنا فرق بين صورتي التلقي ونوعيه :

وهنا يتوجه سؤال ، وهو أنه هل يفرق في الحكم بين التلقي بالرواية والقول وبين التلقي بالعمل ؟

فالظاهر من كلامهم هو الإطلاق في ذلك وعدم التفصيل وعدم التفرقة ، لكن الذي يفيده ، قول ابن فورك والقاضي أبي نصر المالكي ، وما يبدو إليه ميلان الحافظ ابن حجر أيضاً ، لنقله قول كل منهما بدون نقد ورد ، هو التفصيل وهو ما جاء في قول ابن فورك :

« إن التلقي إذا كان قوله وفعلاً حكم بالصدق قطعاً وإنما فيحمل الأمر على اعتقاد وجوب العمل بخبر الواحد ولا يقطع بالصدق » .

وذلك لما تقدم من قولي : « إن التلقي لا يكون من منوال واحد » ويفيد ما اختاره فقهاء الحنفية من أحكام أقسام الإجماع ولما ذكروه في الفرق بين المتواتر والمشهور عندهم (٢) .

فإذا بنى حكم التلقي على مثل هذا التفصيل - الذي ذكره ابن فورك وغيره - فلنا أن نقول :

١- إن التلقي الضعيف إذا كان بالعمل فقط ، يصير به الضعيف في مرتبة أخبار الآحاد الصحيحة ، التي تفيد وجوب العمل فقط .

(١) (نزهة النظر : ص ٢٦) .  
 (٢) (الموجز في أصول الفقه : ص ٢٠٢-٢١٩-٢٢٤) . و (فواتح الرحمن : ٢٤٢-٢٤٢/٢)

٢- وإذا تلقى الضعيف بالرواية والنقل ، وبالافتاء معاً ، صار كالمتواتر من الأخبار ، فيفيد العلم النظري - كما ذكر ابن الصلاح - ويجعل القطع منسوحاً إذا خالفه - كما ذكر السخاوي .

### ٦- أمثلة من الضعيف الملقى بالقبول :

ومن مظان مثل هذه الأحاديث ، كتاب الجامع للإمام الترمذى . فإن كتابه هذا من مظان الأحاديث الحسان بجميع أقسامها ، ومنها هذا القسم أيضاً ، ونجد فيه أمثلة كثيرة لهذا ، فإنه كثيراً ما يذكره ضعف الحديث وغرابته ثم يعقبه بقوله : « وعليه العمل عند أهل العلم » أو بقوله : « والعمل عليه عند أكثر أهل العلم » . ومن الأمثلة ما ذكره شيخنا عبد الفتاح أبو غدة - حفظه الله تعالى - في أواخر تعليقاته على كتاب « الأジョبة الفاضلة » (١) ، فقال :

« مثل حديث - من ذرعه القئ وهو صائم فليس عليه القضاء وان استقاء فليقض » (٢) - وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » في كتاب الصيام في باب الحجامة والقئ للصائم :

روى البخاري في التاريخ الكبير ، قال : قال مسدد عن عيسى بن يونس حدثنا هشام بن مستان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه - « من ذرعه القئ .. إلخ . قال البخاري : لم يصح ، ورواه أصحاب السنن الأربعه والحاكم من طريق عيسى بن يونس ، وقال الترمذى : غريب ، لا نعرفه إلا من روایة عيسى بن يونس عن هشام ، وسألت محمدأً - يعني البخاري - عنه فقال : لا أراه محفوظاً ، وقد أخرجه ابن ماجة والحاكم من طريق حفص بن غياث أيضاً عن هشام ، قال الترمذى ، وقد روى من غير وجهه عن أبي هريرة ولا يصح إسناده - وعليه العمل عند أهل العلم » (٢) . [يتبع]

(١) (الأجوية الفاضلة - التعليقات : ص ٢٢٤) .

(٢) (الترمذى مع التحفة : ٤١١-٤٠٩/٢) . (فتح الباري : ١٥٢/٤) .

## أسرار الحمل

بِقَمْ : الدَّكْتُورُ خَلْوَقُ نُورُ باقِي  
تَرْجُمَةً : أُورَخَانَ مُحَمَّدَ عَلَى

«إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتِهِ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضُعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ أَيْنَ شَرَكَائِيْ قَالُوا آذَنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ» [سورة فصلت ، الآية : ٤٧].

سنحاول شرح الإعجاز العلمي الذي ورد في منتصف هذه الآية [١] وما تخرج من ثمرات من أكمامها ومتناول شرح الإعجاز العلمي الذي ورد في منتصف هذه الآية [٢] وما كما تعودنا سابقاً في تعاملنا مع الآيات السابقة فإننا سنعيين هنا الناحية غير الاعتيادية ، أو الناحية الإعجازية في الأسلوب القرآني .  
ما دام كل شيء وكل حادثة تحدث في الكون لا تحدث إلا نتيجة للعلم وللإرادة الإلهية ، إذن فلياذًا يعدد الله تعالى هذه الحوادث البيولوجية الثلاث (١) ، ويؤكد أنها لا تحدث إلا بالعلم الإلهي !

لكي نفهم سر ذلك علينا أن نلقى نظرة على البنية البيولوجية لهذه الأحداث . فنلقى أول نظرة على عملية حمل الأنثى ، أي على عملية التلقيح . حتى وقت قريب كان ينظر إلى عملية التلقيح على أنها عملية بيولوجية يحدث فيها امتزاج نصف شخصية الجنين من الأم والنصف الآخر من الأب . وكلما تقدم علم الجينات وعلم الوراثة توضح مدى صعوبة عملية الالقاح بشكل أفضل .

(١) المقصود هنا هذه الحوادث : ١- خروج الثمرات من أكمامها . ٢- الحمل .  
٢- الوضع .

البعث الإسلامي  
أسرار العمل  
 تعد بويضة الأنثى وحدة تحتوي على نصف الاستعدادات البيولوجية البالغة حوالي ستين ألف استعداد وبواسطة العملية الخاصة المسماة بالانقسام المنصف (Meiosis) تحمل بويضة الأم نصف هذه الاستعدادات البالغة ستين ألف استعداد بشكل صفوف عشوائية . وتخزن هذه الاستعدادات في ٢٢ كروموسوماً التي هي كعربات نقل للصفات ، حيث يملك الإنسان ٤٦ كروموسوماً . وأود شرح هذه العملية الخارقة وغير الاعتيادية بمثال :

فنقول: إن الإنسان عبارة عن شفرة بلغ عدد أرقامها (٦٠٠٠) رقم . وإن هذه الشفرة مسجلة بشكل أرقام تبدأ من الواحد وتنتهي بالرقم (٦٠٠٠) . وإن نصف هذه الأرقام ، أي أن (٢٠٠٠) رقم موجود في خلية الأم على شكل بطاقات ، غير أن هذه الأرقام البالغ عددها ثلاثين ألفاً ليست مرتبة بشكل متسلسل . أي أن هناك (من بين ستين ألف بطاقة) ثلاثين ألف بطاقة في خلية الأم غير متسلسلة .. فنقول : إنها مؤلفة مثلاً من الأرقام : ١ ، ٢ ، ٨١ ، ٢ ، ١٦٥ ، ٢٠٢٠ ، ٤٢٤٠ ، ١١٨٠٤ ، ٢٤١١٤ ، ٢٨١١١ ، ٤٧٦١٧ ، ٥٧٥١٤ .. إلخ . وإن هذه الثلاثين ألف بطاقة غير المتسلسلة موجودة في بويضة الأم ، ذلك لأن النواحي التي سيشبه فيها الجنين أمه نواح متفرقة ومتشتتة جدًا . فقد يشبه حاجبه حاجب أمه ، ولكن عينه لا تشبه عين أمه . وقد يشبه ظفره ظفر أمه . ولكن يده لا تشبه يد أمه . ولكن علينا ألا ننسى أن الجنين لكي يتكون ويتكامل فلا بد من العثور على هذه البطاقات الناقصة المكملة لبطاقات الأم ، ولا شك أنه سيلزمأخذ هذه البطاقات (أي الصفات) من خلية مني الأب . ولكن ما العمل وخلايا مني الأب تحتوي على (٢٠٠٠) من البطاقات المختلفة وغير المتسلسلة أيضاً . ويجب ألا ننسى أنه مقابل الخلية الواحدة من

الأم (أي البویضة) يوجد (٢٥٠) مليون خلية في مني الأب .

أجل أيها القراء الأعزاء ! .. هنا يبدأ الإعجاز الذي لا يستطيع العقل تصوره ، إذ أن خلية الأم المحاطة بـ (٢٥٠) مليون خلية من خلايا الأب والتي تحتوي كل خلية منها على ثلاثين ألف بطاقة غير متسلسلة من الشفرات والأرقام (أي الصفات) .. خلية الأم هذه مضطربة إلى الاهتداء إلى الخلية الذكيرية التي تكمل أرقامها أي شفراتها (أي صفاتها) الناقصة ، وهي مضطربة إلى إنجاز ذلك ، أي الاهتداء إلى الخلية الصحيحة في ظرف ساعة واحدة فقط ، ولكي يكون هذا اللغز العلمي المعجز والرائع في الحياة واضحاً فسأحاول شرحه بمثال :

لنفرض أنه أعطيت لكم (٢٠٠٠) بطاقة عليها أرقام غير متسلسلة تبدأ من الواحد وتنتهي في رقم (٦٠٠٠) ، ثم جلب لكم (٢٥٠) مليون كيس . وقيل لكم : إن الأرقام الناقصة عندكم وبالبالغة ثلاثين ألف رقم موجودة في أحد هذه الأكياس ، وإن عليكم أن تجدوا ذلك الكيس لتتم تكملة الأرقام الناقصة عنديكم فماذا تعملون يا ترى ؟ !

ليس أمامكم إلا فتح هذه الأكياس كيساً كيساً للعثور على تلك الأرقام الناقصة . ولو فرضنا أن قراءة رقم واحد يأخذ من وقتكم ثانية واحدة فقط لاحتاجتم إلى ( $2000 \times 2000$ ) ثانية ، ويبلغ هذا ما يقارب الشهرين . ولكن خلية البویضة عند ما تبحث عن البطاقات الناقصة لديها لا تبحث فقط عن الأرقام ، بل تقوم بفحص وتدقيق الأحماس الأمينية وكل الزوايا الفراغية التي تشكلها هذه الأحماس مع بعضها والتي تمثل الصفات والاستعدادات ، ولو أعطى لمساعدة هذه البویضة (التي تحيط بها ٢٥٠ مليون خلية من خلايا المنى) ألف عام بيولوجي مع مختبرات كاملة لما استطاعوا العثور على الخلية المطلوبة

وإن بذلوا كل جهودهم لعدة سنوات . هذا مع العلم أن خلية البویضة مضطرة إلى إنهاء عملية التلقيع في ظرف ساعة واحدة فقط .

إذن فهنا لغز علىي بكل معنى الكلمة .. لغز علىي لا يمكن حله . ولكن يتم في كل يوم حل هذا اللغز لآلاف المرات . أي هناك آلاف من الإناث تحمل كل يوم ، إذن فما النتيجة التي نصل إليها بعد كل هذا الشرح الطويل ؟

النتيجة التي نتوصل إليها هي استحالة عثور الخلية الأنثوية (في ضوء القوانين البيولوجية الاعتيادية) على الخلية الذكيرية التي تحمل البطاقات والمعلومات الجينية الناقصة لديها لكي يتم الحمل .

أي أن العلم العقلي المعروف لدينا يقول لنا :

لا يمكن لأي أنثى أن تحمل ، ولكن هذه الآية الكريمة كانت تعلن هذه الحقيقة قبل خمسة عشر قرناً ، وتقول :

” يا بني آدم ! .. لا تستطيع بویضة الأنثى حل هذا اللغز الذي لا يدركه العقل إلا بإرادتي وبعلمي ” .

أما العلم الحديث فيجب عليه أن يقول أمام هذه الآية :

» آمنت وصدقت « .

أما علم البيولوجيا فقد اقترب بعد مرور خمسة عشر قرناً من إدراك هذا السر .

قرائي الأعزاء ! الإعجاز الإلهي مهم جداً إلى درجة أنه يوضع من جهة ، وأمام جميع الأنظار حقيقة الوجود الإلهي المطلق بشكل علمي . ويدلل من جهة أخرى على الإعجاز العلي في الآيات القرآنية .

إن عملية التلقيع والخصاب ليست إلا نتيجة طبيعية لكل الشهادة . كيف ؟

الرياضية لكي تحول خلية واحدة بالانقسام المتأتي إلى طفل ذي (٢٠) مليون خلية دون حدوث أي خلل في الجسم وفي الصفات وفي الاستعدادات هـ (١٥٦-٢٢) (١).

أما درجة الاحتمالية الرياضية في تكوين كل صفة وكل استعداد في مكانه الصحيح عند حدوث كل انقسام في الخلايا فهي :  $1 \times 1 - 128 \times 10 = 6 \times 10 - 160$  أي تعدد صفرًا من الناحية الرياضية .. أي مستحيلًا (٢) أي إن تحول بويضة ملقحة إلى طفل كامل عملية مستحيلة إن لم يتدخل العلم الإلهي .

ثم يا ترى أية هيئة علمية تستطيع أن تصدر الأمر بالوضع بعد اكتمال مدة الحمل البالغة (٤٠) أسبوعاً ، وإن تعلم وتخبر الغدة النخامية (Hypophysis) للأم بأن نمو الطفل قد اكتمل من الناحية البيولوجية ؟ وأي مختبر بحث أخبر نسيج الغدة النخامية ، إن جميع أعضاء الطفل أصبحت كاملة لذا يجب صدور الأمر بالوضع ؟ .. طبعاً إن العلم الإلهي هو الذي أخبر .

إن الحالات النادرة التي تحدث في الحمل والوضع . كالوضع البكر أو عدم اكتمال أعضاء الطفل المولود ، أو عدم استمرار الحمل مع حدوث الحمل .. هذه الحالات النادرة التي تتكرر على الدوام ليست إلا تنبيهاً لابن آدم ولفتاً لنظره إلى هذا الإعجاز البيولوجي .

$$\frac{1}{\frac{22}{22-1}} = 22-1 \times 2 \quad (الترجمة)$$

<sup>(١)</sup> يقول أحد علماء الرياضيات إن درجة الاحتمال إن كانت  $10^{-50}$  أو أقل فإنها تعد من الناحية العملية صفرًا (الترجم).

البعث الإسلامي

لولم يكن الله تعالى موجوداً - حاشا لله - لقال لنا العلم بكل وضوح :  
= لا يمكن مطلقاً لايَةً أثنيَ أن تحمل .  
ولكن لا كانت هناك الآلاف من الإناث ، بل الملايين منهم يحملن (إن  
أخذنا جميع الأحياء بنظر الاعتبار) .  
إذن : أشهد أن لا إله إلا الله .  
وبما ان القرآن بين هذه الحقيقة بكل وضوح قبل ١٥ قرناً .  
إذن : أشهد أن محمداً رسول الله .  
ـ الآية الكريمة : « ولا تضـ

إذن : أشهد أن محمداً رسول الله : « ولا تضع  
والآن لننتقل إلى السر الثاني الذي تتضمنه الآية الكريمة : إلا بعلمه ». بعد عملية التلقيح يجب أن تتحول هذه الخلية الملحة إلى  
طفل لكي يتم الوضوح ولكن ما القصة العلمية لهذه الحادثة ؟  
٤،٢،٤،٢٢،١٦،٨ .. إلخ ، ويستمر هذا الانقسام حتى يتكون الطفل الذي  
يبلغ عدد خلاياه (ثلاثين مليون خلية) غير أنه يجب ألا ننسى أن  
الاستعدادات والقابليات والصفات التي يبلغ عددها ستين ألف صفة  
أ، تشغّل مكاناً ما في أثناء هذه الانقسامات .

يجب أن يتعين مكان اللون  
فعندما يبلغ عدد الخلايا ٢٥٦ خلية مثلاً يجب أن يتعين  
رموش العين ولشكل الاذن ضمن هذه الخلايا البالغ عددها (٢٥٦) خلية ،  
إذ توجد قابلية نشوء جلد اللسان وجلد الكلية معاً في الخلية رقم (٢٢١)  
مثلاً . أي هما موجودتان جنباً لجنب ، ولو حدث خطأ مقداره  
«انكستون» (١) واحد فقط لنشأت ونمط غدة البوول على لسان الإنسان ،  
أو لنما اللسان في بطن الإنسان (في كليته) إن درجة الاحتمالية

(١) انكستون : جزء من عشرة ملايين جزء من السنتمتر الواحد .



الإسلامي  
لم يترك الدهر لـي ما أستعين بـ

عَلَى التَّجْمِلِ إِلَّا سَاعِدِي وَفَدَّي

هذا يحبر مدحى في الرسول وذا  
يتلو على الناس ما أوحىء من كلامي

يا سيد الكون عفوا إن أثنت ، فلى  
ك حلة

كفى بـ «سامان» لي فخراً إذا انتسبت  
نفسى لكم مثله في زمرة الحشم

و حسن ظني بكم إن مت يكلؤنـي  
من هول ما أتقى في ظلة الـرـجم

الله ما عاقن عن حكم شجن (١)

لـكـنـيـ موـثـقـ فـيـ رـبـقـةـ السـلـمـ (٢)

فهل إلى زوره يحيى الفؤاد بهـ

ذریعة أبنتغیها قبل مختارمی

[تَمَّ]

• • •

## رجل فقدناه :

المحدث الكبير

# العلامة عبید اللہ الرحمانی المبارکفوری

المضيلة الشيخ عبد الواحد عبد القدس المدنى

تعود قصة معرفتي بالشيخ المحدث الراحل إلى عام ١٩٧٢م حينما كنت طالباً صغيراً لا تتجاوز سني اثنى عشرة سنة . وقد استزاره والدي المغفور له الشيخ عبد القدوس (م ١٩٧٦م) لزيارة مدرسته . فرأيته وضيئ الوجه ، نحيف البدن ، مععدل القامة ، ولا أزال اذكر انه كان يوجه إلى أسئلة في الصرف والنحو بابتسامة . تتفطر بالعاطف والرحمة . وبعد فترة من الزمن التحقت بالجامعة السلفية ببنارس عام ١٩٧٥م . وتشرفت بزيارته عن كثب غير مرة ، عند ما كان الشيخ يزور الجامعة في المناسبات شتى بوصفه رئيساً لها .

وكان يعجبني فيه جمعه بين العلم بالسُّنة والعمل بها وتطبيقاتها في جميع الأفعال والتصرفات حتى في قيامه وقعوده ونطقه وسكته وعبادته وسلوكه . وكان ي جانب السمعة والرياء بشدة . ويتحذر من كل شبهة وشائنة .

لقد رأيته يتورع كثيراً من التصوير في المؤتمرات والندوات . كان قدوة للخلق الرفيع . و معروفاً بتواضعه ولين جانبه . فكان يلس ذلك كل من نزل عليه ضيّفاً . لأنّ الشیخ كان يبالغ في إكرام الضيوف مهما كانوا . ولقصص استضافته كثيرة .

(١) شجن : حاجة .

(٢) السلم : الأسر .

**البعث الإسلامي** المحدث الكبير العلامة عبد الله الرحمن المباركفورجي  
المجالس والمؤتمرات الهامة التي كانت تعقد لحل أزمات المسلمين  
وقضاياهم بالهند ، كما كان يحضر ويرأس المؤتمرات التي كانت تعقدها  
الجمعية السلفية المركزية بالهند في مختلف أقطار الهند .

والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرؤوف الرحمنى عضو المجلس  
التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي (أحد تلاميذ المحدث الراحل الذي نال  
صيتاً كبيراً في مجال الخطابة الأردية بالأوساط الدينية الهندية) قد  
لقبه المحدث الراحل بخطيب الهند ، ثم بخطيب الإسلام اثر إعجابه  
بخطبتين القاهما في قرية « طيب فور » و « مئو » .

لقد ولد الشيخ بباركفور في شهر محرم الحرام ١٢٢٧هـ في أسرة  
علمية شهيرة ومدينة علمية معروفة ، أسرة العلامة محمد عبد السلام  
المباركفورى (مؤلف سيرة البخارى) بن خان محمد بن أمان الله بن حسام  
الدين ، وبمدينة باركفور ببلدة أعظم جراء .

وقد درس على والده بالمدرسة العالية الواقعة بمئو ، الكتب الابتدائية  
في اللغة الفارسية والأردية ، ثم قرأ بجامعة سراج العلوم الواقعة في  
بونديهار - غونده ، في ١٩١٧-١٩٢٢م كتب الفقه والحديث والأدب  
والقواعد والمنطق والمقررات الأخرى ، ثم التحق بمدرسة دار الحديث  
الرحمانية الواقعة بدلهي حينما عين أبوه العلامة عبد السلام مدرسا  
فيها ، ودرس هناك مع أبيه على المحدث الكبير العلامة أحمد الله البرتاب  
گرھي (تلميذ العلامة السيد نذير حسين المحدث الدهلوى ، والعلامة الشيخ  
حسين بن محسن الانصارى الخزرجي) وقرأ عليه الصحيحن للإمام  
البخارى ، والإمام النيسافوري ، والمؤطأ للإمام مالك بن أنس ، كما تلمذ  
على الشيخ غلام يحيى الكانفورى ، والحافظ عبد الرحمن النكرنهوى .

يروى أخونا الكبير الشيخ عتيق الرحمن الطيبى مدير المطبعة الندوية  
أنه ذهب مرة لزيارة الشيخ أثناء دراسته بمئو مع بعض زملائه وأصدقائه ،  
يقول : فلما وصلنا إليه وجدناه مكتباً على تأليف كتابه « مرعاة المفاتيح » و  
كتب المراجع كانت منتشرة بين يديه ، ولكنه ترك عمله بمجرد وصولنا  
وقدم إلينا الغداء ، وبعد ما فرغنا منه أقبل على المائدة ، وبدأ يلعق ما  
بقي في الأواني من الطعام ، فاستغربنا من صنيعه . هذا ، وأعجبنا به .  
كان الشيخ رحبي الصدر للحركات الإسلامية والمذاهب الفقهية الأخرى ،  
وكان يتعاون معها في الشئون الاجتماعية الملاية ، فكان نائب الرئيس  
لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين بالهند ، كما كان ينوب عن رئاسة  
هيئة التعليم الدينية التي أنشأها الكاتب الإسلامي والمحامي المعروف  
القاضي محمد عديل العباسى إلى مدة طويلة .

ومما يدل على رحابة صدره أنه لما أنشئت الجامعة السلفية في بنارس  
احتاجت الجامعة إلى مدرسين فائقين وأساتذة بارعين لختلف المواد  
والفنون . فتعين الشيخ عبد العيد البنarsi كمدرس للعلوم العقلية  
بأمر من ساحة المحدث المباركفورى . وكان حنفيا يوم ذاك .

وكانت بينه وبين ساحة الشيخ المفكر الإسلامي الداعية الكبير  
العلامة السيد أبي الحسن على الحسني الندوى صلات وثيقة ، فكلما التقى  
بساحة المحدث الراحل شيخ من مشايخ ندوة العلماء بادر إليه بالسؤال  
عن ساحة العلامة الندوى . كما أن ساحة الشيخ الندوى كلما سئل في  
البلاد العربية عن أكبر عالم في السنة بشبه القارة الهندية أشار إليه  
بكل ثقة ورحابة صدر .

لم يكن ساحة المحدث الراحل خطيباً بالطبع . ولكنه كان يشارك

والشيخ عبد الغفور الجرافوري ، و الشيخ أبي طاهر البهاري . والشيخ محمد إسحاق الآروي . والشيخ عبد الوهاب الآروي ، والشيخ الحافظ محمد الكونجراوي الفنجابي ، ونال شهادة العالمية من دار الحديث الرحمنية في ١٢٤٥هـ . كما أنه درس على سماحة العلامة المحدث الكبير الشيخ أبي العالى عبد الرحمن المباركفوري صاحب « تحفة الأحوذى » شرح « جامع الترمذى » أثناء الإجازات السنوية التي كان يقضيها في موطنه مباركفور .

### التدریس :

بعد ما تخرج في دار الحديث الرحمنية اختاره مدير المدرسة مدرساً وأستاذًا فيها لما اجتمع فيه من الكفاءة، العلمية الفائقة والصلاح والتقوى . ولكن لم تمض عليه مدة إلا و استدعاءه العلامة المحدث عبد الرحمن المباركفوري صاحب « تحفة الأحوذى » لكي يساعدته في تأليف هذا السفر القيم فقضى سنتين كاملتين لدى شيخه مساعدًا له في هذا العمل العلمي الجليل . فكانت له مساهمة في إكمال الجزئين الأخيرين من « تحفة الأحوذى » ، وكان معهما أثناء هذه المدة الشيخ عبد الصمد المباركفوري ، والشيخ محمد اللاهوري أيضًا . وقد اغتنم الشيخ عبد الله الرحمنى هذه الفرصة الفاللية ليستقى من منهل معارف شيخه ويروى غلته . ويصطبغ بصبغته . ثم طلب مدير دار الحديث الرحمنية ومنشئها الشيخ عطاء الرحمن مرة أخرى لتدریس أمهات كتب السنة فأقام هناك مدرساً ومفتياً إلى أن انقسمت الهند في ١٩٤٧م ، وذهبت دار الحديث الرحمنية ضحيتها ، وكان ضياع دار الحديث خسارة كبيرة للأوساط السلفية بصفة خاصة .

البعث الإسلامي      العثت الكبير العلامة عبد الله الرحمنى المباركفوري  
وقد تلذذ عليه أثناء هذه المدة عدد كبير من طلبة العلم ذكر أسماء بعض منهم على سبيل المثال :

- ١- الشيخ عبد الغفار حسن الرحمنى (باكستان)
- ٢- الشيخ عبد الرؤوف الرحمنى (نيپال)
- ٣- الشيخ محمد إقبال الرحمنى (غونده)
- ٤- الشيخ عبد القيوم الرحمنى (بستي)
- ٥- الشيخ زين الله الرحمنى الطيبى (غونده)
- ٦- الشيخ عبد الخالق الرحمنى (باكستان)
- ٧- الشيخ محمد مسلم الرحمنى (بنغال)
- ٨- الشيخ عبد الله الرحمنى (الرأي بريلوي)
- ٩- الشيخ أحمد الله (الرشد آبادى)
- ١٠- الشيخ عبد الجبار (الكاندهلوى)

### قصة تأليف مرعاة المفاتيح :

إن بعض مشيخة أهل الحديث كانوا يدركون ضرورة تحشية كتب الحديث تناسب روح السنة وطبيعتها بدون التزام مذهب معين من الذاهب الفقهية الأربعية ، وكان هذا الشعور هو الذي دفع الشيخ الحافظ محمد زكريا اللائلفوري ، والشيخ محمد باقر إلى تكليف الشيخ عبد الله الرحمنى بتحشية مشكاة المصايب . وقد لبى الشيخ دعوتهما وبدأ في عمل التأليف في ١٩٤٨م الموافق ١٢٦٨هـ ، وكان المقصود التحشية فقط ، ولكنه أبي إلا أن يشرحها . فجاء شرح مبسط قيم ، عديم النظير . ومن الملاحظ أن الشيخ المباركفوري قدر للتحشية مدة أربع سنوات ، وقد قام الشيخ محمد زكريا بحمل مسئولية نفقاته المنزلية . وقد أداها على أحسن وجه ، إلى أن حالت دون ذلك ظروف غير ملائمة بين الدولتين

الهند وباکستان . فتحمل هذه المسئولية بعض تلاميذه البارعين في مقاطعة بستي وغونده ، وخصوصاً الشيخ محمد إقبال الرحمناني .

والشيخ زین اللہ الرحمنی الطیبی ، ليتمكن الشیخ من موافقة عمل التألیف مطمئن البال إلى أن أغناه اللہ عن ذلك .

ومع الأسف انه لم يتمكن من إكماله ، وقد قامت الجامعة السلفية في بنارس بطبع تسعه أجزاء منها .

### الجامعة السلفية في بنارس :

إن الشیخ كان رئيساً للجامعة السلفية منذ إنشائها حتى وفاته ، وكان توجيهاته السديدة وآرائه الرشيدة دور كبير في رفع مستوى الجامعة

في مدة قصيرة .

توفي الشیخ في ١/١/١٩٩٤م وصلی عليه في نفس اليوم بعد صلاة المغرب في جمع حشد كبير يقارب خمسين ألف نسمة ، وقد انتشر نباء وفاته بسرعة مدهشة ، فأغلقت المدارس والجامعات وصلی عليه صلاة الغائب في داخل الهند وخارجها .

وقد نشأ بوفاته فراغ كبير في الأوساط العلمية والدينية بالهند ، وهي تعتبر خسارة للأمة الإسلامية . وقد قام العلامة سماحة الشیخ السيد أبي الحسن علي الندوی مع جماعة من تلاميذه من أساتذة دار العلوم ندوة العلماء . بالسفر إلى مباركفور حيث لقي نجله الكريم فضیل الشیخ عبد الرحمن الرحمناني وأعضاء الأسرة . وقدم إليهم التعزية السنونة ، وأبدى شعوره بالفراغ الذي نشأ بوفاته .

تفمدہ اللہ بالغفرة وأنزل عليه شَّابِبَ رَحْمَتَهُ وَأَهْمَنَا وَأَهْلَهُ وَذُوِّهُ  
الصبر والسلوان .

.....

### صور وأوضاع :

#### من الاختلاف إلى الاختلاط

واضع رشید الندوی

ليس من العجيب أن تكون هناك عناصر متعددة ، أو اتجاهات متفاوتة ، اتجاه إلى الصلاح والخلق الحسن ، والأناقة ، والنزاهة ، والصدق ، وإتجاه إلى الفساد ، والشطارة ، والقسوة ، والغلظة ، والقذارة ، والكذب ، فإن هذين الاتجاهين المتعارضين وجداً في كل عصر .

وقد اختلفت عناصر الحسن والقبح في طبيعة الإنسان وعناصر الضعف والقوة . واختلفت طبائع الحيوانات ، وتنوعت طبيعة الحياة ومظاهر الكون ، فكانت منها جبال راسيات ، وكهوف ومقارات ، ووهاد ونجاد ، وصحاري وواحات وحدائق ، ومروج وقيعان ، وكان من الإنسان من هو رافع ، ومن هو متبر ، من هو صالح ومن هو فاسد ، ومن هو رقيق القلب ، ومن هو غليظ القلب ، وقاسيه .

وقد كان هذا التنوع ميزة الحياة ، فالحياة ألوان وأشكال وكذلك الطواهر الكونية متنوعة ، ومتعددة المظاهر المشاهد ، وقد عرض القرآن الكريم والحديث النبوی الشريف نماذج إنسانية مختلفة وظواهر طبيعية متعددة ، وكان في هذا التعدد والتنوع سر الحياة ، لأن التمييز بين أشياء متعددة متقابلة ، عمل سهل ، أما التمييز بين أشياء متداخلة ومتتشابكة عمل صعب .

ولكن الظروف والأوضاع في العصر الحاضر تغيرت وتبدل طبيعتها ،

والأطفال ، والنساء ، والمعوقين . بل عرف عن أسوأ الناس منهم أنهم كانوا يعتدون على الأقوياء ، ويرحمون الضعفاء . ويغافرون على الغرباء والأجانب ، ويساعدون الأقارب ويحسنون إلى الجوار . كانوا صادقين في كلامهم . وإن ساق صدقهم إلى هلاكهم . وكان لهم ضمير وكان لهم شعور إنساني يتغلب أحياناً عليهم ويردعهم عن ارتكاب جريمة . فكان لهم إتجاه معين ، ومنهج مقرر . وحتى الأسد لا يهاجم إلا إذا كان جائعاً ، وإذا شبع فلا يتعرض لما يمر به .

وقد عرف الإنسان في العصر الماضي بخصائصه البشرية ، كما عرفت الحيوانات بخصائصها الحيوانية وكل يتميز بهذه الخصائص . يقف حدودها ، وينطلق منها ، ويعرف بها ، وله حدود ومقاييس .

ولكن الإنسان اليوم الذي تحضر وتتعلم وتثقف كثيراً ويملك وسائل كثيرة و Capacities واسعة ، وله عقل ثاقب وبصر نافذ تحرر عن جميع القيود ، وانسلخ عن جميع الأصول والمبادئ . وتخلى عن جميع الخصائص . لأن شعاره هو الحرية المطلقة . فهو حر في حياته ، وفي تفكيره وسلوكه . فلا يتقييد بالأديان ولا يتقييد بالقيم الخلقية ، ولا يتقييد بالأعراف الإنسانية ، وخصائص المجتمع الذي يعيش فيه . حتى الرجولة والأنوثة ، والتمييز بينهما قد ذابت في مصهر الحضارة المعاصرة .

لقد كان يفهم أن ينحط إنسان إلى الدرك الأسفل فيصبح مثل الحيوانات ، ولكن الحيوانات أيضاً لها خصائص . فلكلب مثلاً الوفاء وللأسد الحياة ، والقوة ، وللحمار خدمة ووفاء وفاء لصاحب ، ووفاء الفرس معروف ، والأدب العربي مليء بذلك ، ولكن صلاحية الإنسان للتغير في هذا العصر . يفوق كل صلاحياته السابقة للتغير . فإنه

بطريق اختلط على الناس التمييز بينها لذلك تحدث مشاكل يستعصى حلها . وتتعذر معالجتها على المعالجين الحذاق . وتوسيع أبعاد هذا الاختلاف كل يوم وتنكاثر المشاكل الناتجة منه .

إن خطورة الوضع الذي يعيش فيه الإنسان اليوم لا تكمن في الاختلاف ، فإن الاختلاف يظهر وجوهاً متعددة . ويشهد بالتنوع . وتبدو به مظاهر متقابلة . متجانسة ومتعارضة . وكل خصائص ومزايا ، وإنما تكمن الخطورة في الاختلاط ، اختلاط العناصر . أو اختلاط أخلاط طبيعة البشر . فإن الاختلاط يفسد الوجه الواحد والاختلاف يظهر وجوهاً متعددة . فإذا اختلفت الألوان تنوعت الألوان وإذا اختلفت المشاهد أعطت صوراً متعددة تمنع النفس والخيال . ولكن إذا اختلفت الألوان ، فسدت والتبتست ، وإذا اختلفت المشاهد الطبيعية . تشوّهت صورتها كذلك إذا اختلفت أخلاط طبيعة الإنسان ، أو اختلفت دوافعه وميوله كان هذا الإنسان ذا طبيعة غامضة لا يعرف عنه ولا يت肯ّه عنه . فلا تكون له حدود ، ولا تكون له مبادئ . يتصرف في حياته بدون تقيد أو تحفظ . ولا يعرف أقرب معارفه ما هو موقفه وما هو منهج حياته . ولا يكون له اتجاه واحد . ولا يسير في خط واحد . وينحرف عن الجادة .

إن الإنسان يمتاز عن الحيوانات لأن الإنسان له حدود يقف عندها . ولا يتجاوزها . وله معالم مقررة يسير إليها . وله منهج مقرر للعمل يتذكره ، فهو في بطشه ، وغضبه الشديد ، وانفعاله الحاد ، يقف عند حدود . وقد كانت لقطاع الطرق واللصوص ، والقتلة حتى في العصور الهمجية أصول ، منهم من كان لا يقتل وحيد أبويه . ولا ينتهي أعراض النساء . ولا يعتدى في أيام وشهر معينة . ولا يعتدى على المساكين .

يستطيع الآن أن يتنازل عن خصائص جنسه أيضاً ، وأن يتحرر عن ضميره ، وأن تكون له ضمائر مختلفة وقلوب متعددة ، وذلك هو إعجاز الحضارة المعاصرة ،

إن القوة والضعف والمصدق والكذب ، والانقياد ، والتمرد ، حالات متناوبة في الوقت الحاضر ، ويستطيع الإنسان أن يكون منقاداً في وقت ومتمرداً في وقت ، بطلًا في وقت وجياناً في وقت آخر ، حرًا في وقت وعبدًا في وقت آخر ، حليماً في وقت وطائشاً في وقت آخر .

نجد مثلاً في هذا العصر رجالاً هم أبطال على شعوبهم ، يقتلون ويعذبون ، ويبذرون أموال بلادهم في اللهو والمجون ، ويبذرون من مظاهرهم أنهم غلاظ القلوب ، وقساة النفس ، لكنهم في نفس الوقت ألين قوياً ، وأرافق نفساً أمام رجال سودوهم على أنفسهم ، وأطاعوا لهم ، ورجال لا يعرفون إلا كلمة التأييد ، والإيقان ، فيقررون بكل ما يعرض عليهم من جهة ، يكفون السنهم ، لكنهم في مواضع أخرى يدعون إلى حرية تنطلق كالقراص الذي يفرض كل شيء ، يؤمنون بكل نظام مستبد ، ويقبلون أحكامه أوامرها ، ويولهون حكامهم ، ويقولون إنه يستحق أن لا يسأل عما يفعل ، أمره فوق الأمر الإلهي ، وقوانينه فوق الكتب السماوية ، ولكنهم بالنسبة للأديان ، والأخلاق والنومايس البشرية المتوارثة ومناجح الحياة المقررة ، أحرار ينتقدون كل شيء ، ويبذرون رأيهم في كل أمر ، فهم أحرار في وقت وعبيد في وقت ، عقولهم منفلفة في وقت منطلق في وقت ، وهذا هو نوع من الاختلاط للعناصر الطبيعية الذي أبرزته الحضارة المعاصرة ، وله أمثلة كثيرة .

## تطرف وكبت الحرريات باسم التسامح والحرية

باسم مكافحة الأصولية الإسلامية تقوم القوى المعادية للإسلام باتخاذ وسائل شرعية وغير شرعية لتشويه صورة الإسلام والمتسكين بتعاليمه ، كفرض قيود على الحياة الاجتماعية أو الفردية وسلب حقوق وطنية ، من بعض العاملين للإسلام ومنعهم من السفر ، ومنعهم من لقاء إخوانهم ، وعزلهم عن الحياة العلمية والفكرية ، ومنعهم من الكتابة وإلقاء الخطب في الأعياد والمناسبات وتقديم التهاني في الأعياد ، سواء كان هؤلاء العاملون لهم صلة بأي حركة تسعى إلى إقامة حكم إسلامي كما تدعى هذه القوى لنزع إجراءاتها التعسفية الصبغة القانونية ، أو لم تكن لهم أي صلة بأي حركة أو جماعة بل كانوا عاملين للإصلاح وآمرین بالمعروف وناهین عن المنكر .

وتجاوزت هذه الوسائل إلى فرض قيود على بعض الصحف والمجلات والكتب التي تحمل المواد الإسلامية وتشتمل على مواد معارضة للحضارة الغربية ، حتى من عرضها في معارض الكتب وقد فرض الحظر على بعض المؤلفات الدينية في الدول التي تحارب الأصولية الإسلامية ، وبذلك تحرم هذه الدول شعوبها من فرص الاستفادة العلمية والفكرية والدينية ، وما يستغرب أن هذه الدول تدعوا إلى حرية التعبير وتطلب الطبق المثقفة فيها التي تسير دفة الحكم بمنع حرية نقد الدين ، وإن كانت هذه الفرصة متاحة عملياً ، وتحتمل الحكومات فيها نقد التعاليم الإسلامية والقدسات الإسلامية ، وتحمى الناقدين لها ، وتدافع عنهم الصحافة

والإذاعة الحكومية ، باسم حرية التعبير والعقيدة ، و ما يدل على التناقض السافر في هذه الدول أن حرية فقد الدين والإسلاميين وفرض القيود عليهم متاحة في تلك البلدان ويسمح للعناصر المعادية للإسلام بكل حرية للتعبير والتنظيم ولا تناح للإسلاميين فرصة للتعبير عن آرائهم ، والكتابة في موضوعاتهم ، وتنظيم جماعة لمارسة نشاطاتهم . وتتزعم هذه الحركة قوى اليسار رغم أن قوى اليسار منيت بالخزي والعار ، وسقط نظامها الذي كان مقدساً . وسقطت قيادتها التي كان رجالها آلهة هذا العصر . سقط هذا النظام في عقر داره ، وهو الآن يعبد من كان يحاربه طول فترة قيامه ويرتمي الآن في أحضان أعدائه السابقين ، وقد تم تصفيته بصورة واقعية في موطنه لكنه لا يزال يعيش في أذهان بعض المتذيلين به في آسيا ، وخاصة في الدول الإسلامية ، ويريد أن يحتفظ بهذه البقية أو الطفيليين ليقال إنه نظرية لا تزال في قيد الحياة ، و تصل البلدان التي يعيش فيه اليساريون و بقية الاشتراكيين إلى الأفلاس والدمار كما وصلت إليه الدول الاشتراكية في أوربا الشرقية .

ويأتي زمان تحاكم شعوب هذه الدول حكامها كما حاكمت شعوب بلغاريا وألمانيا الشرقية ، و رومانيا ، حكامها ، أو تواجه هذه الدول التفكك والتمزق كما واجه الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا ، التفكك والتمزق . لعل من أكثر اليساريين أو الاشتراكيين غباءً وخداعاً هم اليساريون في الدول الإسلامية ، ولعلهم لم يدركوا تغير الأوضاع ، وازاحة القناع عن الوجه الاشتراكي ، ولا يعرفون أن الاشتراكية هي الفكرة المنبوذة الآن في الدول الاشتراكية السابقة ، والذين يزورون هذه المنطقة يعرفون

أن الذين كانوا يعبدون هذا الصنم يبصرون عليه الآن . وقد داس الناس وبصروا على تمثال مؤسس (كي.جي.بي.) في روسيا ، ونبشت قبور بعض الزعماء ، وقد كان الاشتراكي في الماضي رمزاً للتقدير والحرية . وهو الآن رمز للرجعية والانغلاق الفكري . وقد صدرت كتب في ذكر بشاعة ذلك النظام الشنيع الاستبدادي الذي قام على تصفية المعارضين ، وتكميم الأفواه ، والذي فرض على بلاده بالستار الحديدي . وتناح الآن فيها فرص لتبادل وجهات النظر وتعقد مؤتمرات ولقاءات فكرية حرة . ورفعت القيود المعروضة على التنقلات ، وفتحت مجالات للدعوة الإسلامية ، وعقدت عدة مؤتمرات وملتقيات فعلاً في الموضوعات الإسلامية ، وبدأ الإسلام يلعب دوره في التغذية الفكرية كنظرية من النظريات ويدرسها الناس بحرية .

ولعل اليساريين التقليديين في الدول الإسلامية لا يقرؤون فلا يقرؤون بهذا التيار الجارف . ويدعون حكام بلادهم إلى تقليد ذلك النظام المنهاج في تصفية العناصر الإسلامية ، وأن تمنعهم من الاشتراك في النشاطات الاجتماعية ، حتى الحوار الوطني لحل القضايا المشتبكة التي تواجه البلاد .

إن تجميد قوة الإسلاميين التي يمثلها الجزء الكبير من الشعب ، بل أكثرية الشعب ، من أن تلعب دورها في بناء الوطن وحل قضاياه والنظر إليهم بشك في ولائهم وحرمانهم من تحقيق رغباتهم ، وأن يعيشوا حسب مبادئهم ، لا ينفع في تضامن البلاد ، ولا يحقق رفاهية الشعب .

## إصدارات حديثة

### ١- مجلة الأدب الإسلامي :

صدرت مجلة الأدب الإسلامي كمجلة فصلية تعنى بالأدب الإسلامي . عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية بإشراف رئيسها العام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوى ، يرأس تحريرها سعادة الدكتور عبد القدس أبو صالح نائب رئيس الرابطة للدول العربية ، وقد كان صدور هذه المجلة الأدبية الهدافة تحقيقاً لأمل طالما راود الأدباء المسلمين وهي في الواقع منبر للأدب الإسلامي الذي يقوم على أساس الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء .

والجدة تستهدف :

- ١- تأصيل نظرية الأدب الإسلامي ٢- تحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامي
- ٢- تأصيل النقد الإسلامي ٤- رسم منهج إسلامي للفنون الأدبية الحديثة
- ٥- الاهتمام بالتفسير الإسلامي للأدب ٦- إعادة كتابة تاريخ الأدب العربي من وجهة نظر إسلامية ٧- إظهار صلة الأدب الإسلامي الحديث بالأدب القديم
- ٨- دراسة الأدب الإسلامي المعاصر ٩- التعريف بأداب الشعوب الإسلامية
- ١٠- تعهد المواهب الفتية والأقلام الراودة من جيل الأدباء الشباب ١١- تشجيع الأدب الذي يهتم بقضايا المرأة المسلمة ١٢- رسم منهج إسلامي لأدب الأطفال
- ١٢- التصدى للدعوات الأدبية الشبوهة .

وقد صدر إلى الآن عدداً من المجلة وهو غنيان بالبحوث والمقالات الأدبية الهدافة ، نرجو للجدة النجاح والازدهار . وللقائمين عليها التوفيق والسداد .

### ٢- مجلة «كاروان أدب» (قافلة الأدب) :

صدر العدد الأول من مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية من مكتبها لشبـ القارة الهندية وباللغة الأرديـة ، وتحـمل اسم «ـكاروان أدـب» وـهي كذلك مجلـة فصلـية رئيسـ تحريرـها سـعادـة الشـيخ محمدـ الرابعـ الحـسـنيـ النـدوـيـ نـائبـ رـئـيسـ الرابـطـةـ لـشـبـهـ القـارـةـ الـهـنـدـيـةـ . وـهـذـاـ العـدـدـ يـحـتـويـ عـلـىـ الـبـحـوـثـ وـالـمـقـالـاتـ الـتـيـ قـدـمـتـ فـيـ مـؤـتـمـرـ الـرـابـطـةـ السـادـسـ الـذـيـ عـقـدـ حـولـ مـوـضـوـعـ «ـالـدـعـاءـ وـالـابـتهاـلـاتـ فـيـ الـأـدـبـ إـسـلامـيـ»ـ فـيـ مـدـيـنـةـ رـائـيـ بـرـيلـيـ (ـالـهـنـدـ)ـ وـنـحـنـ إـذـ نـهـنـيـ الـقـائـمـينـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـجـلـةـ وـعـلـىـ رـأـمـهـمـ سـعـادـةـ الشـيخـ مـحـمـدـ الرـابـعـ النـدوـيـ نـائبـ رـئـيسـ الـرـابـطـةـ لـشـبـ القـارـةـ الـهـنـدـيـةـ . نـدـعـوـ اللـهـ سـبـحـانـهـ أـنـ يـكـتبـ لـهـ الـقـبـولـ وـالـازـدـهـارـ .

وـالـلـهـ وـلـيـ التـوـفـيقـ ..